جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

تجليات الخيال العلمي في رواية "في ممر الفئران" لأحمد خالد توفيق (١٩٦٢- ٢٠١٨م)

Manifestations Of Science Fiction In The Novel "In The Rat Alley" By Ahmed Khaled Tawfik (1962- 2018)

إعداد

د/ هناء عبد المقصود محمد خيرالله

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الأول (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

تجليات الخيال العلمي في رواية "في ممر الفئران" لأحمد خالد توفيق (١٩٦٢- ٢٠١٨م)

هناء عبد المقصود محمد خيرالله

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، دمنهور، مصر.

البريد الإلكتروني : hnakhyrallh@gmail.com

الملخص:

تعد رواية "الخيال العلمي" إحدى الوسائل الناجحة لتشخيص المشكلات المهددة للبشرية؛ حيث حملت الرواية علي عاتقها عبء مساءلة المستقبل واستشراف عوالمه في ظل تطور الأوضاع التى مرت بها المجتمعات العالمية في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتكنولوجية .

وقد كان الخيال العلمي أداة قوية للتعبير عن الرؤى المستقبلية، وطرح الأسئلة الأخلاقية بطريقة إبداعية، وقد اتخذ منه الكُتَّاب "العرب" ملاذًا آمنًا يتيح لهم الفرصة لنقد مجتمعاتهم التي تقيد حرية التعبير تفاديًا للنقد المباشر، فبدأت الأعمال الأدبية تستشرف المستقبل بطريقة تحذيرية، وأكدت أن الحضارة الإنسانية يجب أن تتأسس علي العلم والأخلاق، فإذا غاب البعد الأخلاقي عن أي حضارة كان مستقبلها مأساويًا ومآلها الزوال .

وكان في مقدمة هذه الروايات رواية "في ممر الفئران" للكاتب "أحمد خالد توفيق" التي تجري أحداثها في عالم خيالي، حدثت به كارثة بيئية، أدت إلى تدهور الطبيعة وكذلك الإنسانية، ومن ثم نهاية العالم وانهيار الحضارة البشرية، ويتصاعد أحداث الرواية تتأكد فكرة ضرورة ارتباط التطور العلمي بالأخلاق حتى لايزداد الشر ويستشري الفساد.

الكلمات المفتاحية :الخيال العلمي، في ممر الفئران، الديستوبيا، النيزك.

Manifestations Of Science Fiction In The Novel "In The Rat Alley" By Ahmed Khaled Tawfik (*1962- 2018*)

Hanaa Abdel Maqsoud Mohamed Khairallah
Lecturer of Literature and Criticism at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Damanhour

Email: *hnakhyrallh@gmail.com*

Abstract:

Science fiction is one of the most successful means of identifying the problems threatening humanity. The novel bears the burden of questioning the future and anticipating its worlds in light of the evolving conditions experienced by global societies in all economic, social, environmental, and technological fields. Science fiction, with its dystopian dimension, was a powerful tool for expressing future visions and posing ethical questions in a creative way. Arab writers found it a safe haven, allowing them to critique their societies that restricted freedom of expression. Literary works began to foresee the future in a cautionary manner, emphasizing that human civilization must be founded on science and morality. If the ethical dimension is absent from any civilization, its future will be tragic and its fate will be its demise. Foremost among these novels is "In the Rat Alley," which takes place in a fictional world where an environmental disaster has led to the deterioration of nature and humanity, leading to the end of the world and the collapse of human civilization. As the novel's events escalate, the idea of the necessity of linking scientific progress with morality is reinforced to prevent the escalation of evil and the spread of corruption.

Keywords: *Science Fiction , In The Rat Alley , Dystopia , Meteor.*

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز من أطاعه واتَّقاه، ومذل من أضاع أمره وعصاه، أحمده حمداً يملأ أرضه وسماه، وأشكره على جزيل فضله وسوابغ نعماه، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبع هداه إلى يوم أن نلقاه.

أمَّا بعـــــــــد:

فقد تميز أدب الخيال العلمي عن غيره من الأنواع الأدبية بأنه يمزج بين ضربين مختلفين من ضروب المعرفة ألا وهما: العلم والأدب؛ وذلك لأن العلم والأدب خطابان متضادان، فاستطاع أدب الخيال العلمي بتميُّزه أن يحقق فكرة المصالحة بينهما، وأن يقدم الفكرة العلمية فى طابع خيالي وأسلوب أدبي يجمع بين الإثارة والتشويق.

كما استطاع الخيال العلمي أن يشكل مجالًا رحبًا للإبداع والتأمل الفلسفي في الأدب الحديث والمعاصر، وعلي الرغم من ذلك فإنه يعدُّ لدي الروائيين – العرب– أدبًا ناشئًا؛ حيث تناولوا فن الرواية من زوايا مختلفة إلَّا أن أقلامهم لم تلتفت كثيرًا إلى رواية "الخيال العلمي".

وكان من أهم الكُتَّاب الذين اقتحموا ميدان أدب الخيال العلمي وجالوا فيه بخواطرهم وأبدعوا فيه بأقلامهم: الكاتب "نهاد شريف" في روايته "قاهر الزمن" والكاتب "نبيل فاروق" الذي أسس سلسلة "ملف المستقبل" ثم الكاتب "أحمد خالد توفيق" في سلسلته "ما وراء الطبيعة" ثم تبعهم بعد ذلك بعض الكُتَّاب من الأجيال الشابة.

ومن الروايات التي استطاع الكاتب "أحمد خالد توفيق" أن يوظف فيها أدب الخيال العلمي رواية "فى ممر الفئران" التي تناولت المدينة الفاسدة وقامت بتصوير الواقع المرير.

وتدور الرواية حول فكرة "سيريالية"، هي فكرة تغير العالم ومصائر الناس بعد سقوط نيزك واصطدامه بالأرض، وقد ظن الجميع أن هذا الاصطدام سينتج عنه الموت ونهاية العالم، ولكن نتج عنه حجب الشمس عن كوكب الأرض واستمرار الحياة في الظلام.

منهج الدراسة:

في سياق هذه الدراسة اعتمدتُ على المنهج الوصفى التحليلى الذى يصف الظاهرة، ويقوم بإعطاء الأولوية للنص الروائى؛ وذلك بتتبع بنائه الداخلى وتحليل دلالته، ويتميز المنهج الوصفى باعتماده على التحليل، كما أنه يُعد من المناهج الموضوعية التى تعتمد على العقل.

الدراسات السابقة:

١- تجليات الخيال العلمي في رواية "مايفوق حواسنا" لعبد الرازق طواهرية، بحث لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، بشرى بوراس، ميادة عميور، الجمهورية الجزائرية، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة، لعام ٢٠٢٢/ ٢٠٢٣م.

٢- تجربة الخيال العلمي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية قراءة في نص "جلالته الأب الأعظم" للروائي الحبيب مونسي، د/ فايد محمد، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي: تيسمسيلت/ الجزائر، العدد ٢٥/ القسم الأول، لعام ٢٠١٨م.

٣- أدب الديوستوبيا: سرد المستقبل وبلاغة التخييل الاستشرافي في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، و"عطارد" لمحمد ربيع، توفيق شابو، مجلة جسور المعرفة، مج٩، العدد:٣ ، ٢٠٢٣م.

٤- رواية "في ممر الفئران" للكاتب أحمد خالد توفيق في مرآة المنهج التفكيكي، فاطمة محمد قطب، مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط- جامعة الأزهر، ع٢٠، يناير، ٢٠٢٣م.

هذا ولم توجد دراسة سابقة تناولت موضوع "الخيال العلمي في روايات أحمد خالد توفيق" بشكل عام، وفي رواية "في ممر الفئران" بشكل خاص، كما أن الدراسة السابقة التي تناولت هذه الرواية بعيدة كل البعد عن موضوع دراستى من الناحية المنهجية وطريقة العرض والتناول.

أهداف الدراسة:

يعد أدب الخيال العلمي أحد الأنواع الأدبية التي لم تأخذ حقها فى الدراسات النقدية الأكاديمية؛ وذلك لانصراف كثير من النقاد عن هذا النوع الأدبي حيث يرونه ضعيفًا في بنيته، وسطحي في لغته وشخصياته. فضلًا عن تكوين ثقافتنا العربية الذي يميل إلى الإبداع الشعري أكثر من الجوانب العلمية؛ ويضاف إلى ذلك الضوابط الاجتماعية والدينية التى تحدُّ من حريته، مما تسبب في انصراف الأدباء أيضًا عنه. (١)

لذا يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهمية هذا النوع الأدبي، والكشف عن مساهمة الكاتب "أحمد خالد توفيق" فى هذا الجانب، والوقوف على مدى إلمام رواية "في ممر الفئران" بظاهرة الخيال العلمي.

خطة البحث:

ينقسم هذا البحث إلي مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويليهما خاتمة: أما **المقدمة** فقد تناولت فيها: منهج الدراسة، والهدف منها، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ويتبعها **تمهيد** ينقسم إلى ثلاثة محاور: **المحور الأول** بعنوان: مفهوم أدب الخيال العلمي، وأهميته، **والمحور الثاني** بعنوان: التعريف بالكاتب، **والمحور الثالث** بعنوان: التعريف برواية في ممر الفئران.

---

(١) انظر مجاز العلم دراسات فى أدب الخيال العلمي، أ.د/ سمير الديوب، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب– دمشق، ط٢٠١٦م ص٣، ص١٩.

وجاء **المبحث الأول** بعنوان: " ملامح الخيال العلمي في رواية في ممر الفئران " وقد تناولت فيه أهم الملامح الموضوعية التي اشتملت عليها الرواية باعتبارها إحدى روايات الخيال العلمي. **وجاء المبحث الثاني** بعنوان: " أثر الخيال العلمي في عناصر الرواية السردية"، وقد تناولت فيه: العتبات الداخلية والخارجية للرواية، والأحداث، والشخصيات، والزمن، والمكان، واللغة الروائية، ثم تأتي **الخاتمة** وقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

التمهيد

ويشتمل على ثلاثة محاور:

المحور الأول: مفهوم أدب الخيال العلمي، وأهميته:

أولًا: مفهوم أدب الخيال العلمي:

الخيال العلمي هو جنس أدبي حديث في الثقافة الإنسانية: ((يحاول "استباق المستقبل"، وهو يقدم مفهومًا جديدًا للإنسان والحياة، وحضورًا قويًا للأزمات التى يبدو أنها ستهدد البشرية فى المستقبل.)) (١)

ويعتبر هذا النوع من الأدب أحد أشكال قصص المغامرات، إلا أن أحداثه تدور عادة في المستقبل البعيد على كوكب الأرض، ((وفيه تجسيد لتأملات الإنسان فى احتمالات وجود حياة أخري فى الأجرام السماوية.. ولهذا النوع من الأدب القدرة على أن يكون قناعًا للهجاء السياسي من ناحية، وللتأمل فى أسرار الحياة والإلهيات من ناحية أخري.)) (٢)

فهو أدب هادف لم يقف عند حدود تصويره الواقع بل يعمل علي النهوض به من خلال استشراف المستقبل، والتحذير من المخاطر التي يمكن أن تهدد الحياة الإنسانية علي كوكب الأرض، وبذلك فهو يجمع بين الإقناع والإمتاع، ويمزج بين الجدية والخيال، فضلًا عن قدرته الهائلة في الإثارة والتشويق.

---

(١) معجم مصطلحات الأدب، ج١، مجمع اللغة العربية- القاهرة، ط ٢٠١٤م، ص٨٢، ٨٣.

(٢) الخيال العلمي فى الأدب العربي الحديث فى ضوء الدراسات المقارنة، محمد عبد الله الياسين، دمشق- سوريا، ٢٠٠٨م، ص١٤.

وفي أدب الخيال العلمي تخضع لغة الأدب لمنطق العلم بالإضافة لاعتماده علي الخيال؛ لذلك فهو يختلف عن البحث العلمي حيث إنه: ((أدب جدي تشكل الكتابة والفكرة فيه المقوميين الأساسين ويبعده التخيل عن أن يكون بحثًا.)) (١)

ولرواية الخيال العلمي العديد من التعريفات، ولكن أجمع هذه التعريفات وأشملها فيما أرى أنها: ((رواية مستقبلية تقوم علي الحقيقة الثابتة حينًا أو المتخيلة عن جانب مجهول من الكون والحياة حينًا آخر، وشخصياتها اسمية أو رقمية غير مكتملة الهيئة النفسية والجسدية، تنقل زمن الخطاب الروائي المسرود في الغالب إلي زمان مستقبل أو زمن استرجاعي، متوهم إلي مكان خيالي، أحداثها مشوقة ومثيرة تدفع إلي التفكير في نتائج هذا الخيال المتين أو الموظف، فتقدم حلولًا مستقبلية كما يجب أن تكون عليه الحياة في ظل التقدم العلمي المتسارع.)) (٢)

فقد جمع هذا التعريف بين الحديث عن ماهية رواية الخيال العلمي وعناصر بنائها الفني من شخصيات ولغة وزمان ومكان وأحداث، فضلًا عن دورها في خدمة البشرية بتقديم حلول مستقبلية للمشكلات قبل حدوثها ودفع المجتمع نحو الرقي والازدهار.

ثانياً: أهمية أدب الخيال العلمي:

تتجلي أهمية الخيال العلمي في أنه:((متخيل يجمع بين الإمكان والاستحالة في إطار علمي.)) (٣)

---

(١) أدب الخيال العلمي، جان غاتينيو، ترجمة ميشيل خوري، دار طلاس- دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ص١٥٧.

(٢) بناء رواية الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر، مها مظلوم خضر، د. ن- القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٨.

(٣) شعرية الرواية الفانتاستيكية، شعيب حليفى، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١٩٩٧م، ص٧٢.

ويؤدي الخيال العلمي دورًا كبيرًا فى الحضارة الإنسانية؛ حيث كان الناس فى الماضى يقرأون الخيال العلمي كوسيلة للترفيه والتسلية، ثم بدأوا استعماله لتخطيط المستقبل، لكن الآن أصبح من أهم الوسائل التربوية والتعليمية الحديثة؛ لأنه يساعد على غرس حب العلم فى نفوس النشء، وإعداد العلماء والمبدعين والمبتكرين والمفكرين، لكي تستعد الأجيال الجديدة لمواجهة صدمات وتحديات الحاضر والمستقبل. (١)

من هنا كانت رواية الخيال العلمي: ((إحدي الوسائل الناجحة لمساءلة المستقبل واستحضار منجزات العلم وإمكاناته المحتملة لتشخيص المشكلات المهددة للوجود البشري.)) (٢)

ولكن يتضح أن رواية الخيال العلمي ليس هدفها الوحيد "التنبؤ بالمستقبل"؛ وإنما تتجاوز ذلك لتقدم حالة من الوعي الإنساني للمشكلات التي يواجهها العالم كالحروب الذرية والكوارث الطبيعية والتهديدات التي تواجه البشر.

---

(١) انظر الخيال العلمي كظاهرة في الرواية الجزائرية الحديثة رواية "تيرالوزيا لأمواج دواس أنموذجًا"، سليمان ضراوي، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة أحمد دراية، كلية الآداب واللغات، ٢٠٢٠م/ ٢٠٢١م، ص ٤، ٥.

(٢) الرواية ذاكرة مفتوحة، محمد برادة، آفاق للنشر والتوزيع– القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٨.

المحور الثاني

التعريف بالكاتب

هو "أحمد خالد توفيق" تلقى تعليمه فى محافظة طنطا، وتخرج في كلية الطب فى جامعة طنطا عام ١٩٨٥م، ثم حصل على الدكتوراه فى الطب عام ١٩٩٧م، والتحق عضوًا بهيئة التدريس واستشارى قسم أمراض الباطنة المتوطنة فى طب طنطا.

يعد أول كاتب عربى فى مجال أدب الرعب والأشهر فى مجال أدب الشباب والفانتازيا والخيال العلمى، بدأت رحلته الأدبية مع كتابة سلسلة "ما وراء الطبيعة"، ورغم أن أدب الرعب لم يكن سائدًا فى ذلك الوقت فإن السلسلة حققت نجاحًا كبيرًا واستقبالًا جيدًا من الجمهور، مما شجعه على استكمالها، وأصدر بعدها سلسلة فانتازيا عام ١٩٩٥م، وسلسلة "سفارى" عام ١٩٩٦م.

كما كتب العديد من الروايات التى حققت نجاحًا جماهيريًا واسعًا، وكان أشهرها رواية "يوتوبيا" عام ٢٠٠٨م، وترجمت إلى عدة لغات، كما كتب رواية "السنجة" التى صدرت عام ٢٠١٢م، ورواية "مثل إيكاروس" عام ٢٠١٥م، ورواية "فى ممر الفئران" التى صدرت عام ٢٠١٦م، و"قصاصات قابلة للحرق" و"عقل بلا جسد" و"الآن نفتح الصندوق".

وقد رحل الروائى "أحمد خالد توفيق" فى الثاني من أبريل عام ٢٠١٨م، عن عمر يناهز خمس وخمسون عامًا، إثر أزمة صحية مفاجئة. (١)

---

(١) انظر مقال بعنوان "كل ماتريد معرفته عن أحمد خالد توفيق في ذكرى ميلاده"، أحمد منصور، اليوم السابع. ١٠ يونيو ٢٠١٩م، وانظر السيرة الذاتية لأحمد خالد توفيق من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، وانظر موقع مصراوي، الاثين ٢ إبريل ٢٠١٨م، أحمد خالد توفيق في سطور.

المحور الثالث

التعريف برواية في ممر الفئران:

رواية "في ممر الفئران" هي إحدى روايات الخيال العلمي للكاتب المصري "أحمد خالد توفيق" وكانت في بادئ الأمر عبارة عن قصة قصيرة اسمها "أسطورة أرض الظلام" جاءت ضمن مجموعته القصصية "ماوراء الطبيعة"، وقد دارت حول فكرة رمزية تلامس الواقع السياسي والاجتماعي للشعوب العربية، فوجد الكاتب أن هذه الفكرة تستحق دراسة أو معالجة أعمق وأطول بكثير، مما دفعه إلى تحويل الفكرة إلي رواية بعنوان: "في ممر الفئران" وهذا ما نص عليه الكاتب في مقدمة الرواية، ثم أكد أنه ليس أول من فعل ذلك بل استشهد بالكثير من الكتاب الغربيين الذين حولوا قصصهم القصيرة إلى روايات. وقد نشرت هذه الرواية للمرة الأولي فى عام ٢٠١٦م، وتقع في ثلاثمائة وثمانين صفحة، ويمكن تقسيمها إلى مجموعة من الفصول بناء على الأحداث الرئيسة فيها، وهي كالآتي:

الشرقاوي يدخل في غيبوبة طويلة

الشرقاوي ينتقل إلى عالم غرائبي

الكومندان يفرض ديكاتوريته

الشرقاوي يخوض مغامرة غير محسوبة العواقب

وتدور أحداث الرواية حول "الشرقاوي"، وهو رجل في الأربعين من عمره يدخل في غيبوبة لا يعرف الأطباء سببها، وخلال غيبوبته ينتقل الشرقاوي إلى عالم مظلم ورمزي؛ حيث يسود الظلام بعد سقوط نيزك يحجب الشمس، وتنتشر الخرافات والجهل. ثم ينضم الشرقاوي إلى مجموعة من المتمردين أطلقوا علي أنفسهم اسم (النورانيين/ الضوئيين) الذين يسعون لإيجاد النور ويواجهون قوى الظلام التي تحكم هذا العالم، ولكن سرعان ما تنتهي الرواية بنهاية سوداوية ومفاجئة.

المبحث الأول

ملامح الخيال العلمي في رواية "في ممر الفئران"

لعل أهم ما يميز أدب الخيال العلمي أنه يحاول أن يبقى متسقًا مع النظريات العلمية والقوانين الطبيعية دون الاستعانة بقوى سحرية أو غير طبيعية مما يجعله متمايزًا عن "الفانتازيا"، والأدب العجائبي" كحكايات "ألف ليلة وليلة"، و"علاء الدين والمصباح السحري"، و"رحلات السندباد البحري " وغيرها.

فالخيال العلمي مشروع قابل للتحقيق إلي حد ما، أما ما يتضمنه الأدب "العجائبي والغرائبي" فلا يمكن أن يتحقق في الواقع. (١)

وقد عالج أدب الخيال العلمي مجموعة من الموضوعات الهامة منها: ((السياسة المستقبلية، البيئة، التطور العلمي، كشوفات الفضاء، اللقاءات مع عوالم من كواكب أخرى، السفر إلي المستقبل، حل ألغاز الماضي، الصراعات بين العقل والآلة التي يمكن أن تصبح آلة ذكية تخطط لسيادتها علي العقل.)) (٢)

ويُعد الكاتب "أحمد خالد توفيق" من أوائل الكتاب العرب الذين كتبوا في أدب الخيال العلمي، وله العديد من الروايات والأعمال التي تنتمي لهذا النوع، وقد اشتهر بتقديم رؤى مستقبلية ممزوجة بالواقع الاجتماعي، وقدم مساهمات مهمة في هذا المجال.

ومن أبرز أعماله في الخيال العلمي:

١- "يوتوبيا": وهي رواية تتناول مجتمعًا مستقبليًا يعيش فيه الأغنياء في عزلة عن الفقراء، وتعتبر من أشهر أعماله في هذا المجال.

---

١) انظر الخيال العلمي كظاهرة في الرواية الجزائرية الحديثة، سليمان ضراوي، ص١٩: ص٢٣.

٢) الخيال العلمي وتجربتي مع المصطلح، طالب عمران، مجلة الخيال العلمي، العدد: ٥/ ٦، ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م، ص١٨.

٢- سلسلة "فانتازيا": وهي سلسلة روائية تتضمن قصصًا خيالية علمية، وهي من أشهر السلاسل الروائية.

٣- "قهوة باليورانيوم": وهي مجموعة قصصية تجمع بين الخيال العلمي والرعب.

٤- "الآن نفتح الصندوق": وهى مجموعة قصصية أخرى تتضمن قصصاً خيالية علمية قصيرة.

٥- "السنجة": وهى رواية تجمع بين الخيال العلمي والفانتازيا، وتدور أحداثها في عالم افتراضي.

٦- "في ممر الفئران": رواية تتناول فكرة السفر عبر الزمن وتأثير ذلك على الواقع.

خصائص الخيال العلمي عند أحمد خالد توفيق:

ومن خلال الاطلاع علي الأعمال السابقة يمكن الوقوف على أهم خصائص الخيال العلمي في كتابات "أحمد خالد توفيق" بشكل عام وأهمها ما يلي:

١- الاستشراف والتفكير المستقبلي:

تستشرف أعماله غالبًا التطورات المستقبلية المحتملة، وتطرح تساؤلات حول تأثير هذه التطورات على المجتمع، مما يدفع القارئ للتفكير في المستقبل وما يحمله من تحديات ومايهدده من مخاطر، وكذلك مايمكن أن يتوفر فيه من فرص وامكانيات.

٢- التنوع في الموضوعات:

تتناول أعماله الأدبية في مجال العلمي مجموعة واسعة من الموضوعات العلمية مثل: السفر عبر الزمن، والكائنات الفضائية، والروبوتات، والتلاعب الجيني، وغيرها، مما يجعله يقدم للقارئ تجربة أدبية غاية في التنوع والإبداع.

٣- الربط بين العلم والمجتمع:

يركز أحمد خالد توفيق على كيفية تأثير التطورات العلمية والتكنولوجية على

المجتمع والإنسان، وكيف يمكن لهذه التطورات أن تغير من أسلوب حياة الإنسان، وأنماط التفكير السائدة فيها، ولكن قد يكون هذا التغيير بالسلب أو بالإيجاب.

٤- المفاهيم العلمية المبسطة:

يقوم بتبسيط المفاهيم العلمية المعقدة، وتقديمها بطريقة مبسطة ومناسبة للقارئ العادي، حتى لاينشغل القارئ بتفسير هذه المصطلحات وينصرف عن أحداث الرواية.

٥- السخرية والنقد الاجتماعي:

يستخدم أحمد خالد توفيق أسلوبًا ساخرًا في العديد من أعماله، حيث يسلط الضوء على التناقضات والمفارقات في المجتمع من خلال أحداث وشخصيات خيالية.

٦- الأبطال العاديون:

غالبًا ما تقدم العديد من أعمال الخيال العلمي أبطالًا خارقين، أما الكاتب "أحمد خالد توفيق" فقد كان على النقيض تمامًا من ذلك؛ فقد ركز جلّ اهتمامه على تقديم شخصيات عادية من عامة الناس؛ حتى يجعل القارئ يتعاطف مع شخصيات الرواية ويتفاعل مع أحداثها بشكل أكبر.

٧- بساطة اللغة والأسلوب:

يتميز أسلوب "أحمد خالد توفيق" بالبساطة والسلاسة، مما جعل كتاباته سهلة الفهم والوصول إلى مختلف شرائح القراء، ولذلك قيل عنه مقولة: "إنه جعل الشباب يقرأ"، حتى أولئك الذين لم يكونوا على دراية واسعة بمفاهيم الخيال العلمي.

٨- المغامرة والإثارة:

على الرغم من تركيز "أحمد خالد توفيق" على الجانب الاجتماعي والإنساني، إلا أنه لم يغفل جانب المغامرة والإثارة في رواياته، فاستطاع أن يجمع بين العمق الفكري والتشويق الأدبي، مما جعله من أكثر الكتاب تأثيرًا في هذا المجال في العالم العربي.

وبعد هذا العرض الموجز لظاهرة الخيال العلمي في أعمال "أحمد خالد توفيق" الأدبية، يمكننى الوقوف على رواية "في ممر الفئران" موضوع الدراسة باعتبارها من

أهم روايات الخيال العلمي عند الكاتب، بل من أهم روايات الخيال العلمي في الأدب العربي بشكل عام.

ملامح الخيال العلمي في رواية "في ممر الفئران":

يمكن توضيح بعض ملامح الخيال العلمي التى تجلت في الرواية وهى كالآتي:

فرضية النيزك وما ينتج عنه من آثار:

أول ما يطالعنا من ملامح الخيال العلمي في الرواية هى فكرة الرواية نفسها والتي تدور حول اصطدام أحد النيازك بكوكب الأرض، وقد نتج عن هذا الاصطدام حجب الشمس عن كوكب الأرض نهائيًا، وتخبط شخصيات الرواية وسط هذا الظلام الدامس.

ويربط الكاتب بين ظاهرة "النيزك" وبين نظرية يطلق عليها: " k-t extinction " التي ابتكرها علماء في جامعة كاليفورنيا عام ١٩٨٠م، ومعناها انقراض الديناصورات في الفترة بين العصرين الكريتاسي والثلاثي وهو ما يطلقون عليه الموت الأعظم، حيث ساد الاعتقاد بأن نيزك عملاق ضرب الأرض في ذات وقت انقراض الديناصورات فأحدث فجوة تدعى "تشيكسولوب" تحت شبه جزيرة "يوكاتان" بالمكسيك. ومنذ هذه اللحظة صارت ثقافة "النيزك الذي يمحو الحياة على الأرض" شعبية جدًا، ومتعارف عليها. (١)

الكوارث الطبيعية والبيئية:

ترتب على اصطدام النيزك بكوكب الأرض ثم سقوطه في المحيط الهادي عدة مشكلات كاحمرار السماء، وانقطاع الاتصال اللاسلكي وكذلك إرسال التلفزيون، وأجهزة المحمول. فضلًا عن حدوث تغيرات مناخية قاسية كاختفاء الشمس، وانتشار

---

(١) انظر رواية "في ممر الفئران"، أحمد خالد توفيق، دار الكرمة- القاهرة، ٢٠١٦م ، ص١٤٥، ١٤٦.

الغيوم في الجو، وهطول الأمطار الكثيفة، وحدوث فياضانات هائلة اجتاحت المحيطين الهادي والأطلنطي، وظهور سحب كثيفة من الغبار تصاعدت إلي السماء وحجبت الشمس، يقول الكاتب: ((المشكلة هى أن هذا العالم مقضي عليه بالهلاك.. عالم بلا شمس هو عالم منتهٍ.. لكن إلى أى حد؟ ... ثم هل هو عالم بلا شمس فعلًا؟ إذن لكان الجليد يكسو كل شئ.. ولكان المكان أقرب إلى كوكب "بلوتو".. مجرد صحراء جليدية بلا حياة ... ليست هذه هى صورة انعدام الشمس كما نعرفها. قد يكون هذا عالمًا بلا نور لكنه بالتأكيد ليس عالمًا بلا شمس.)) (١)

استشراف المستقبل:

من الجوانب الإيجابية للخيال العلمي نظرته المستقبلية لمصير كوكب الأرض، واحتمالية انقاذ البشرية، ويتميز أسلوب "أحمد خالد توفيق" بتقديم رؤى مستقبلية محتملة، مع التركيز على تأثير التكنولوجيا والعلوم على المجتمع، ولذلك سعى في هذه الرواية للكشف عن الأبعاد الإيجابية للتقدم العلمي كتوقع الكوارث المستقبلية ووضع حلول لها، أو الاكتفاء بعرض الكارثة المستقبلية والنظر إليها من خلال منظور سوداوي تشاؤمي؛ لأننا في إطار رواية ديستوبية من الطراز الأول.

السفر عبر الزمن:

وهو مفهوم شائع في روايات الخيال العلمي، ولكنه لم يحدث في هذه الرواية عبر آلة الزمن كسائر روايات الخيال العلمي، فبدلًا من أن يلجأ الكاتب هنا إلى آلات معقدة أو قوى خارقة استخدم "الغيبوبة" كوسيلة للسفر عبر الزمن؛ حيث دخل بطل الرواية "الشرقاوي" في حالة غيبوبة جسدية، لكن عقله سافر عبر الزمن وانتقل إلى بُعد آخر غير معلوم مما جعله أسيرًا للمستقبل بعد تناوله كمية كبيرة من الأقراص

(١)الرواية، ص٩٨.

المنومة يقول الكاتب: ((القرص يعبث في كيمياء المخ.. موصلات تتوقف ومواد تفرز ومستقبلات تغلق.. الأبواب تنغلق الواحد تلو الآخر. جفناه يثقلان. إنه ينام...)) (١)

ثم يقوم الطبيب بتشخيص الحالة بأنها حالة "غيبوبة" معتادة كالتي تصيب أي شخص في أي مكان. فقال: ((إنه يتنفس بانتظام، وإن كانت عيناه تعبثان خلف جفنيه المغمضين. تعبثان بجنون وبلا توقف، مما يخبرك أنه يمر بمراحل النوم المتناقض التى يحلم المرء أثنائها وتتسارع دقات قلبه، ويرتفع ضغط دمه، ويصر علي أسنانه. هذا الرجل يحلم .. لكن بأي شيء؟)) (٢)

ويسترسل الراوي في وصف الحالة قائلًا: ((يجب أن أخبرك أن الشرقاوي انتقل لبُعد آخر. نعم.. هو ما سمعت.. إن جسده في عالمنا، لكن وعيه في بُعد آخر قصي. ما لا نعرفه هو أننا عندما نحلم، فإن وعينا يسافر لبعد آخر ليمارس حياة أخرى ويلقى أناسًا آخرين، ويعرف وجوهًا أخرى.)) (٣)

ويعبر "الشرقاوى" عن سفره إلى بُعد آخر عبر غيبوبته من خلال هذا الحوار: ((- أنا آتٍ من دنيا الظلام.. من ممر الفئران حيث فقد الموتى عظامهم.

- كيف جئت؟
- لا أعرف... لعله حلم طويل قاسٍ.
- من أى عالم جئت؟
- من أرض أخرى.)) (٤)

---

(١) الرواية، ص١٦.

(٢) الرواية، ص١٧.

(٣) الرواية، ص١٧، ١٨.

(٤) الرواية، ص٣٧٣.

وهذا النوع من السفر عبر الزمن غالبًا ما يكون محورًا للقصص التي تستكشف تأثير الزمن على الأحداث والشخصيات.

- **التنبؤ ببعض الاختراعات البيولوجية**:

تنبأ الكاتب بظهور بعض الاختراعات المستقبلية التي يمكن من خلالها التغلب على حياة الظلام كالاختراع الذي توصل إليه العلماء اليابانيون وهو عبارة عن تخليق نوع من الأعلاف تأكله الحيوانات، بعد موت النباتات بسبب غياب الشمس. وكذلك اختراع العلماء الألمان الذي يقدم حلًا لمشكلة طهي الطعام بعد نفاد كل مصادر الطاقة من كوكب الأرض؛ حيث تمكنوا من تطوير نوع من البكتيريا التي تعيش في الظلام، وتقدر علي انتاج تفاعل حراري يصلح لطهي وجبة، واستخدامها للتدفئة أيضًا، واستخدام أجهزة اللاسلكي التي تعمل ببطاريات بيولوجية، واستخدام الوقود البيولوجي، وكذلك اختراع نظارة للرؤية في الظلام ذات عدسات سميكة تجعل الرؤية خضراء تمامًا كالكائنات الفضائية فى أفلام الفانتازيا والخيال العلمى، وارتباط أجهزة الإبصار التي يملكها الشرطة بإشارات إلكترونية تجعل من القومندان مسيطرًا عليهم طول الوقت.

كما كان هناك بعض الحلول التى استخدمتها شخصيات الرواية للتكيف مع حياة الظلام كاستبدال بصمة اليد في الظلام ببصمة الأذن لدى الجهات الأمنية حيث يمكن أخذ طبعة مجسمة من أذن الشخص على الصلصال وبالتالي يمكن تحسسها لمعرفة صاحب الصوان، ومضغ التبغ بدلًا من شربه بعد إشعاله بسبب نفاد الطاقة ووعدم وجود النار.

المجتمعات البديلة:

المجتمعات البديلة في الخيال العلمي هي أدوات سردية قوية تسمح للكاتب باستكشاف إمكانيات مختلفة للمستقبل والتفكير في قضايا إنسانية مهمة، وتظهر المجتمعات البديلة في هذه الرواية في شكلين رئيسيين وهما:

المجتمع المستقبلي: وهو عبارة عن مجتمع متقدم تقنيًا بشكل كبير، يتمثل في قصر "القومندان" الذي يكمن في الفضاء، ويستخدم تكنولوجيا متقدمة للتحكم في الطقس، بل تكنولوجيا للتحكم في البشر أيضًا، والسيطرة علي النور.

ويقول عنه الكاتب: ((أعرف شيئًا واحدًا هو أن كل مصادر الطاقة لاتعمل إلا في قلعة القومندان لأنها فوق مستوى الظلام.. هناك الشمس والنار والكهرباء وطاقة الوضع وطاقة الحركة والطاقة الذرية.. كل شئ .. كل طاقة سمعت عنها في كتب الفيزياء تعمل بكامل قواها.)) (١)

ويقول عنه أيضًا: ((كل القاعات تتمتع بتدفئة ممتازة، بينما الشرفات وساحات الرياضة تضاء بشمس صناعية.. هذه القلعة تستهلك وقودًا كان يكفي دولة صغيرة منذ بضعة أعوام.))(٢)

ومجتمع ما بعد الكارثة: وهو مجتمع "ممر الفئران" الذي كان نتاجًا لكارثة طبيعية حيث عاش الناس في بيئة مدمرة، وكان عليهم التكيف مع كافة الظروف القاسية التي تواجههم في ظل مجتمع يعيش في الظلام والقمع، ويقع تحت سطوة نظام ديكتاتوري يحظر علي أفراده النور بل ويعاقب عليه؛ لأنه يمثل رمزًا للمعرفة والحرية، والحقيقة والأمل.

وهو ما صوره الكاتب مرارًا وتكرارًا في روايته وما أكثر الشواهد على ذلك ومنها قوله: ((في ممر الفئران الضيق، كان يمشي في الدرب يتحسس الجدران، عندما سمع من ينادي بصوت جهوري: – تعالوا. تعالوا واسمعوا مصير الهراطقة.. تعالوا واسمعوا نهاية المجدفين! صوت صخب.. خطوات.. هناك زحام في مكان ما.. الموقف يبدو مألوفًا.. ثمة شئ مماثل مر به من قبل. ثم سمع الصوت الجهوري يتلو:

---

(١) الرواية، ص٣٢٥.

(٢) الرواية، ص٢٦٢.

- بأمر القومندان. الهرطيق كمال ثروت قد ارتكب جريمة الضياء. جرب أن يستولد الضوء بخلايا بيولوجية، وقد أبلغ عنه جيرانه. لقد ظفرنا به ولسوف يلقى عقابه المستحق.)) (١)

وبين هذا المجتمع وذاك يوضح الكاتب مجموعة هائلة من التناقضات بينهما في أكثر من موضع في الرواية كقوله: ((هكذا كان الحفل الصاخب، هناك حفل كل ليلة في هذا القصر. وهكذا كانت الموسيقى تصدح متسربة إلى خلايا الوجود فيثمل. امرحوا يا سادة واستمتعوا بالسحر والجمال والضوء. هناك ممر فئران عفن الرائحة على الأرض، تتدافع فيه فئران عمياء على طريقة "أجاثا كريستي" .. امرحوا لتنسوا وجود شئ قذر كهذا.)) (٢)

من هنا يبدأ الكاتب في التشويق للمجتمع البديل وهو "قصر القومندان" حيث النور والضوء والحياة المليئة بالرفاهية والمتعة مما جعل معظم شخصيات الرواية يتخلون عن مبادئهم في مقابل الحصول على هذه الحياة وهو ما يتضح في هذا الحوار: ((- يمكنك أن تذهب للقصر فوق السحاب.

- قصر فوق السحاب؟

- القومندان.. الحياة هناك تحتاج إلى عبيد وجوار وخدم.. حاجتهم للوقود البشري لاتنتهي. هناك رحلات دورية، والجميل أن هؤلاء القوم يرون النور.. هذه تجربة لا تصدق.

- نور؟

- أنا ذهبت إلى هناك فترة كطبيبة.. هى تجربة لايمكن التعبير عنها بكلمات. مع النور تشعر بأنك كلي القدرة، بالغ القوة.. ربما أنت أقوى من الموت ذاته.. كيف

---

(١) الرواية، ص٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) الرواية، ص٣٦٣.

يقهر الموت شخصًا يرى؟ الغالبية يبكون من الهيبة والبعض يجنُّون.. وفي النهاية يقاوم الجميع حتى لا يعودوا للظلام...

– هؤلاء القوم ينعمون بكل ما كانت البشرية تنعم به منذ ثلاثين عامًا أو أكثر.. هؤلاء القوم ينعمون بالأروع وكل ما يجعل الحياة ذات مذاق.)) (١)

- **تدهور القيم المجتمعية**:

غالبا ما تقدم روايات الخيال العلمي تحذيرات حول مخاطر التكنولوجيا، والاستبداد، والظلم الاجتماعي، وفقدان الهوية، والتدهور البيئي، وتتناول الصراعات بين قوى الخير وقوى الشر، وتسلط الضوء على أهمية القيم الإنسانية في مواجهة هذه التحديات.

فعن الظلم الاجتماعي يتحدث الكاتب عن التفاوت الرهيب بين مجتمع "ممر الفئران" ومجتمع "قصر القومندان فوق السحاب" فيقول: ((هناك ثراء ووفرة ونور، والأهم أن هذه الأشياء مسلوبة من العالم كله.. لابد من أن يهبط هذا كله إلى حيث الفقر والشح والظلام.. لكن هل ينعم بها هؤلاء الذين يعيشون فى الظلام؟ وهل يتسع المكان لكل من يعيشون في الظلام ليأتوا هنا؟ يبدو أن الماء لن يرتفع ليتساوى في الأواني المستطرقة. ربما يهبط ليتساوى فيها جميعًا.. عندما يعجز البشر عن توزيع الثراء فإنهم يوزعون الفقر. ولكن كيف؟)) (٢)

ويؤكد هذا المعني في موضع آخر من الرواية قائلًا: ((النتيجة النهائية هى الدمار.. لن يتسع المكان لمن يعيشون فى الظلام سوف يصير الظمأ حقًا للجميع.

---

(١) الرواية، ص٢٨٥.

(٢) الرواية، ص٣٤٦، ٣٤٧.

البشر لا يقدرون على توزيع الثراء منذ فجر التاريخ، لذا اكتفوا بأن يوزعوا الفقر.)) [١]

ومن مظاهر التردي الأخلاقي الذي كان شائعًا في الرواية "ظاهرة التجسس" بين الأخوة والأصدقاء لصالح "القومندان" الذي يسيطر على عالم الظلام، ويستأثر بالنور والضوء لنفسه. فيقول الكاتب: ((أكثر المشاهد- معذرة أقصد المسامع- التي أثرت فيه، هى عملية الإعدام لهرطيق كان المبلغ عنه هو أخوه.. أخوه الذي أدرك أن أخاه يحتفظ بنظارة رؤية ليلية وأبلغ الشرطة. لقد صار مواطنًا صالحًا عظيمًا ومثالًا يحتذى، وكان يستمع لصوت تمزيق جسد أخيه وهو يهلل فرحًا، ثم يستحيل تهليله بكاء هستيريًا يمزق نياط القلوب.. ثم يستحيل البكاء ضحكًا. التضحية بأخيك عمل نبيل بحق. التضحية الأعظم. الرضا بالظلام لم يكن سهلًا. هذه عملية تربوية معقدة جدًا تبدأ من الطفولة. الظلام هو الشئ الطبيعي.. ثمة خدعة زائفة أقرب للكفر اسمها النور. لايخدعنكم من يتكلمون عن النور والشمس، فهم خونة منافقون يريدون الهلاك.))[٢]

ولذلك تتطلب روايات الخيال العلمي من الأفراد التعاون والتضامن من أجل البقاء والازدهار، وهو ما أكدت عليه هذه الرواية حيث وضحت أهمية العمل الجماعي فى مواجهة الأزمات، من خلال مجموعة النورانيين أو الضوئيين الذين تضامنوا مع أبطال الرواية بحثًا عن النور أو الضوء لأنهم رأوا أن " النور/الضوء" حق للجميع ولايحق أن يستأثر به طائفة من البشر.

---

(١) الرواية، ص٣٦٨.

(٢) الرواية، ص٢٥٢، ٢٥٣.

- **المضمون الديستوبي للرواية:**

وهو أحد أشكال الخيال العلمي الذي انتشر في الأدب العربي في الآونة الأخيرة؛ حيث يتم فيه استكشاف مواضيع مستقبلية أو افتراضية، ولكن مع التركيز على الجوانب السلبية والمظلمة لتلك المجتمعات، وغالبًا ما تستخدم الديستوبيا التكنولوجيا المتقدمة، أو الظواهر المستقبلية للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية. وغالبًا ما تكون أداة لنقد المجتمع من خلال استكشاف عواقب التطور التكنولوجي والاجتماعي، وقبل الحديث عن المضمون الديستوبي في الرواية يجب الوقوف أولًا علي معني "الديستوبيا". والديستوبيا: هي كلمة يونانية تعني "المكان الخبيث"، ويقصد بها المدن الفاسدة التي تسودها الفوضى الأخلاقية والرعب. (١)

وهي: مصطلح يشوبه بعض الغموض، ويتوزع معناه بين علوم مختلفة كالفلسفة والتاريخ والأنثربولوجيا وعلم النفس، ثم ظهر بعد ذلك في إطار الأدب وتخصصت دلالته لتقتصر علي ما يعرف بأدب المدن الفاسدة. (٢)

ويصور الأدب الديستوبي: ((مجتمعا خياليًا مرعبًا، تسوده الفوضى، والقتل، والمرض، وكل شئ غير مرغوب فيه، يقع في المستقبل التأملي، يتميز بالتجرد من

---

(١) انظر أدب الديوستوبيا: سرد المستقبل وبلاغة التخييل الاستشرافي في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، و"عطارد" لمحمد ربيع، توفيق شابو، مجلة جسور المعرفة، مج٩، العدد:٣ ، ٢٠٢٣م، ص٧٠ وما بعدها.

(٢) المخيال الديستوبي بين رواية ١٩٨٤، لجورج أورويل و٢٠٨٤ حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج، و ١٠٨٤ لهاروكي موراكامي، مجلة المدونة، المجلد ١٠، العدد ٢، ديسمبر ٢٠٢٣، ص٤٣٠ بتصرف.

الإنسانية، وسيطرة الحكومات الشمولية، مجتمع يعاني من الفقر والتلوث والانهيار المجتمعي والقمع السياسي.)) [١]

ومعنى ذلك أن "الديستوبيا" تسرد ما يحدث في مجتمع وهمي متخيل ومتجرد من الإنسانية؛ حيث يفقد فيه الإنسان كل أبعاده الروحية، واعتباره شئ مادي بحت، وليس في هذا المجتمع للخير مكان، بل يحكمه الشر المطلق، ويسيطر علي هذا النوع الأدبي الرؤية التشاؤمية تجاه مستقبل تتحكم فيه التكنولوجيا التى تهيمن عليها الرأسمالية المتوحشة.

فغالبا ما تكون هذه المجتمعات الفاسدة نتاجًا لتطورات تكنولوجية أو اجتماعية سلبية؛ ولذلك فإن العديد من أعمال الخيال العلمي تتناول موضوعات "ديستوبية" حيث يتم استكشاف العواقب المحتملة لتطورات معينة على المجتمع البشري.

وتندرج رواية "في ممر الفئران" تحت مظلة الأدب الديستوبي الذي ينتمي بدوره لأدب الخيال العلمي، وتجسد هذه الرواية في إطار من الخيال العلمي الممزوج بروح الدعابة والأسلوب الساخر واقعًا أليمًا عن الظلمة التي يعيشها الإنسان في دول العالم الثالث، وما فيه من فقر وجهل واستلاب للحقوق، واحتكار فئة من الناس لما ليس ملكًا لأحد وإنما هو ملك للجميع، كما تجسد حال الطغاة الذين يأمرون وينهون ويقتلون وينتهكون كل حق بل و كل شيء.

ولأن الخيال العلمي في الرواية يجب أن يكون ممزوجًا بالحقائق العلمية، والرؤى التنبؤية فكان على الكاتب أن يحقق هذا الشرط في روايته، وهو بالفعل ما لمسه القارئ في تلك الرواية؛ حيث اتكأ الكاتب علي بعض الممكنات ممثلة في التطور العلمي ثم طعَّم ذلك بأشياء تغلفها الاستحالة.

---

(١) أدب المدينة الفاسدة انتقال من الأدب الخيالي إلي الواقع الحقيقي، نرمين صلاح القماح، جريدة العرب، ٢٥/ ٢/ ٢٠١٨م.

فتحدثت الرواية عن سقوط أحد النيازك [١] واصطدامه بكوكب الأرض. فقال عنه الكاتب:((هو نيزك حقيقي، يمكنك أن ترى صورته وتقيس أبعاده وإشعاعه الحراري وتعرف مكونات كتلته وتحلله طيفيًا. الأمر أقوى من الشائعات.)) [٢] وتضاربت الأقوال وتنوعت التفسيرات حول ظاهرة النيزك.

فهذا تفسير لعالم بوكالة ناسا قال فيه: ((هذا نيزك غريب الأطوار.. لانعرف من أين جاء ولا لماذا قرر أن يدمر عالمنا، لكن النتيجة الحتمية هي أنه سيصدم كوكبنا.. لتكونن هذه هي نهاية الحضارة كما نعرفها.)) [٣]

وهناك تفسير لعالم آخر يشبه الفلاسفة فقال: ((- يجب ألا نقلق. الكون شاسع والنجوم مليارات. كلها شموس. فلو هلكنا نحن فلسوف تبقي في الكون حياة، ولسوف يبقى بالتأكيد ذكاء حول واحدة من تلك الشموس. سوف تنتهي المسرحية علي خشبتنا لتبدأ علي خشبة أخري علي بعد ملايين السنين الضوئية.))[٤]

ويتوقع الناس على إثر هذا "النيزك" نهاية العالم، واختلفت ردود أفعالهم في كل مكان : ففي مصر يلتف الناس حول التلفاز والمذياع قلقين يتابعون أخبار النيزك. وفي شوارع الغرب ظهر العرافون يحملون لافتات كتب عليها أن النهاية قريبة، وسادت الهستيريا العامة فتجد الطلاقة والمرح ثم البكاء والنهنهة والتوتر العام والقلق والشفاة المرتجفة.

---

(١) نيزك (مفرد): ج (نيازك) وهو: جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جو الأرض احترق وظهر كأنه شهاب ثاقب متساقط. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، مج ١، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢١٩٥.

(٢) الرواية، ص٥٠.

(٣) الرواية، ص٥٠.

(٤) الرواية، ص٥١.

وانطلق الدعاة في كل مكان يُذكِّرون الناس بالنهاية ويدعونهم للتوبة، وقد دفع هذا بعض الناس لأقصي درجات التدين بينما دفع آخرين لأعتى درجات الفجور، وانطلقت دعوات للتسامح من أجل نهاية العالم، وفي كنائس الزنوج راحوا ينشدون صلواتهم بأصوات رخيمة.

وكانت هناك محاولة بطولية أخيرة تمثلت في مشروع "ماتادور" الذي أعدَّته وكالة "ناسا الأمريكية فقال الكاتب عن هذا المشروع: ((تنتوي "ناسا" إعداد صاروخ محمل برأس هيدروجيني. وسوف يحاول الصاروخ أن يفتت النيزك في الفضاء الخارجي- أو على الأقل يغير المسار. الأمل واهن لكنه موجود! بدا هذا وهما أقرب للخيال العلمي...))[١]

ثم بيَّن الكاتب ترقب الجماهير في كل مكان نجاح هذا المشروع الذي سينقذ العالم من الانهيار فقال: ((العالم كله يراقب الشاشات في لهفة.. الكل يحبس أنفاسه بينما يتصاعد الدخان من قاعدة الصاروخ، ويبدأ العد التنازلي.)) [٢]

ولا يزال الكاتب يشوق القارئ لما سيحدثه هذا الصاروخ فقال: ((وينطلق الصاروخ "ماتادور".. وتتهاوى المنصة. بينما يخيل للناس أنه يتحرك بسرعة بطيئة.)) [٣]

ثم جاءت ساعة الصفر التي سيصطدم فيها الصاروخ بالنيزك والجميع يترقب بشغف ماذا سيحدث، وقد نقل لنا الكاتب تلك اللحظات بمزيد من الإثارة والتشويق فقال: ((والصاروخ يقترب من النيزك سوف يدمره أو يغير مساره.. وتنجو الأرض... ووقع الارتطام والانفجار فعلا.. وانتظر الناس أخبارا طيبة لكن هذا لم يحدث.)) [٤]

---

(١) الرواية، ص١١٨.

(٢) الرواية، ص١٢١.

(٣) الرواية، ص١٢٢.

(٤) الرواية، ص١٢٣، ١٢٤.

ثم يصاب الناس بالإحباط مع فقدانهم للأمل الأخير الذي سينقذهم من الهلاك: ((لقد فشل المشروع "ماتادور" تحمل النيزك الصدمة والانفجار الهيدروجيني المروع، ثم واصل طريقه إلي الأرض.. ذات المسار وذات السرعة. هكذا أعلنت "ناسا" أن العملية "ماتادور" قد أجهضت.))[١]

لكن "النيزك" يسقط في المحيط الهادي ولا يتسبب في نهاية الحياة؛ بل يتسبب في اختفاء الشمس والضوء فيعم الظلام لمدة أعوام كثيرة.

وكانت تلك هي النتيجة: ((السماء ظلت حمراء. الاتصال اللاسلكي قد انقطع، ولم يعد هناك إرسال في التلفزيون، كما أن أجهزة المحمول لم تكن تعمل... لم تكن هناك شمس في الواقع والجو كان غائما كأيام الشتاء. يمكنك أن ترى النور لكنه قادم من خلال الغيوم الكثيفة التي تكاثرت في السماء. الأمر أشبه بيوم مطير غائم في لندن مثلا... وفي الحادية عشرة هطلت أمطار كثيفة... النيزك سقط فعلا لكنه سقط علي الأمريكتين. لقد اختار أن يستقر في المحيط الهادي باعتباره المكان الوحيد المناسب له... النتيجة هي فياضانات هائلة اجتاحت المحيطين الهادي والأطلنطي. تغيرات مناخية قاسية. سحب كثيفة من الغبار تتصاعد إلي عنان السماء لتحجب الشمس.))[٢]

وهنا تظهر شخصية د/ "مصطفى" الأستاذ بكلية العلوم والبارع في تفسير تلك الكوارث الطبيعية، فكان يري أن التفسير المنطقي لتلك الظاهرة أنهم نجوا من الموت ليتحقق السيناريو الأسوأ... وأنه سيكون موتًا بطيئًا مريعًا قاسيًا.

ويواصل د/ مصطفى الشرح فيقول: ((نيزك كهذا يعني نهاية الحياة تقريبًا. الأمر يشبه القنبلة الذرية. انفجار القنبلة يقتل مائة ألف. لكن آثار الإشعاع الممتدة تقتل

---

(١) الرواية، ص١٢٤.

(٢) الرواية، ص١٣٣، ١٣٤، ١٣٥.

مليونًا علي مدي أعوام. لابد أن كارثة كهذه أدت إلى أمطار حمضية وظلام شامل، وهو ما يشبه الشتاء النووي، أضف لهذا كثافة غير معتادة في نسبة الإيريديوم في التربة في عدة مواضع، مما يرجح أن أجزاء النيزك لم تترك مكانًا إلا وسقطت فيه.))[١]

وهناك تحليل العلماء الأمريكيون لظاهرة اصطدام النيزك بكوكب الأرض فقالوا: ((لو أن الاصطدام علي اليابسة فلسوف تحدث زلازل كثيرة.. تبدأ حرائق غابات في المركز نتيجة حرارة الصدمة، ثم ينطلق الفتات في الفضاء ويبدأ تفاعل من الصخور التي تطير ثم تسقط من جديد. البعض يبقي معلقا في الجو ويحجب نور الشمس. وهكذا تصير الشمس معتمة أكثر من القمر لسنوات. تموت النباتات. ربما تموت الحياة كذلك.)) [٢]

حيث لم يعد هناك صباح، ولا نهار، ولا شمس، ومن حين لآخر تدوي عواصف رعدية مرعبة ويهوي البرق.

ويسرد الكاتب "أحمد خالد توفيق" حياة الناس في الظلام بأدق تفاصيلها لدرجة تُشعر القارئ بأنه عاش في حياة الظلام حقًا، فشبه الناس في ظلامهم كأنهم في ممر فئران لا ضوء فيه ولا شمس، فيلجأ الناس إلى الاعتماد على حاستي السمع واللمس بدلًا من البصر، وانتشرت بعض الأمراض المرتبطة بغياب الشمس كإكتئاب الظلام، والكساح.

وتعامل الناس بالنقود البارزة، أوالنقود الورقية مع اتفاق عام علي طيها بطرق تدل علي قيمتها. وأثناء سرد الكاتب للمشكلات الكارثية التي أحدثها الظلام أخذ يقدم بعض الحلول العلمية التي اخترعها العلماء اليابانيون فقال: ((وكانت الحيوانات

---

(١) الرواية، ص١٤٦.

(٢) الرواية، ص١٤٧.

بدورها تموت بسرعة مذهلة لأنها لم تعد تأكل النباتات إلا أن العلماء اليابانيين توصلوا الي تخليق نوع من الأعلاف تأكله الحيوانات. وبدأ تصدير هذا المنتج إلي كل بقاع الأرض.)) (١)

ثم تأتي مشكلة طهي الطعام التي وجد لها العلماء الألمان حلًا فقال: ((أما عن التسخين فالفضل يعود للعلماء الألمان الذين تمكنوا من تطوير نوع من البكتيريا التي تعيش في الظلام، وتقدر علي انتاج تفاعل حراري يصلح لطهي وجبة.. ربما يكفي للتدفئة كذلك.)) (٢)

وبمرور أحداث الرواية يؤكد الكاتب أن الموت أفضل بكثير من أن يجد الإنسان نفسه بلا نور، فيقول مؤكدًا علي ذلك المعنى: ((من دون بصر أنت هش واهن حتي لو كان من حولك مكفوفين. إنه العُري الحقيقي وليس عُري فقدان الثياب.)) (٣)

خاصة إذا كان هذا الظلام ليس يومًا واحدًا ولكن سنوات عديدة لدرجة أن هناك أجيال ولدت لا تعرف معنى الشمس ولا ماهية الألوان ولا طبيعة المناظر من حولهم.

وقد اختار الكاتب لروايته نهاية سوداوية تشاؤمية بعد انضمام "الشرقاوي" بطل الرواية لمعسكر الشر، فيقول: ((الظلم ينتصر دومًا في النهاية، والنهايات السعيدة استنفدتها السينما فلم يعد باقيًا منها ما يكفي لعالم الواقع.)) (٤)

ولعل السبب في اختيار هذه النهاية هو انتماء الرواية إلي "الأدب الديستوبي" أحد ملامح الخيال العلمي.

---

(١) الرواية، ص١٥٧.

(٢) الرواية، ص١٥٨.

(٣) الرواية، ص٨٧.

(٤) الرواية، ص٣٥٥.

المبحث الثاني

أثر الخيال العلمي في عناصر الرواية السردية

أولًا: العتبات وعلاقتها بأحداث الرواية:

تلعب العتبات دورًا مهمًا في بناء النص وتوجيه القارئ، وهى ليست مجرد حلية شكلية بل جزء لايتجزأ من النص وتساهم في عملية القراءة والتأويل، ويمكن تقسيمها إلى عتبات خارجية وعتبات داخلية:

١- العتبات الخارجية: وهي العناصر التي تقع خارج النص الروائي: ويمكنني الوقوف عند عتبتي "الغلاف والعنوان" لما لهما من أهمية كبيرة، وعلاقة وثيقة بمضمون الرواية وأحداثها.

الغلاف: لغلاف الرواية أهمية كبيرة؛ حيث يساهم في جذب القارئ ويعطي انطباعًا أوليًا عن طبيعة الرواية، وعند الوقوف على غلاف الرواية نجد أنه يتكون من خلفية سوداء يقع في منتصف أسفلها صورة قداحة مضيئة، وسط هذا الظلام الدامس.

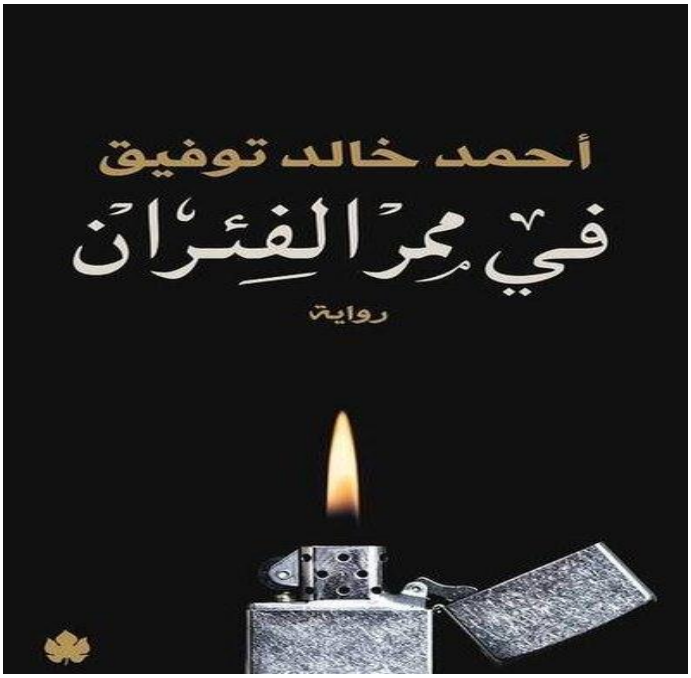

وهنا تتضح العلاقة بين صورة الغلاف وأحداث الرواية؛ حيث سيطر الظلام علي مسرح الأحداث فأصبحت "القداحة" عاملًا مؤثرًا في مجرى الأحداث من خلال استخدام بعض الشخصيات لها عدة مرات كشخصية "الشرقاوي" حيث كان استخدامه لها يغمره بفرحة عارمة، وكان انبثاق شعلة القداحة يبعث فيه نشوة لا توصف. وكذلك استخدام "فاتن" للقداحة والتي أصيبت بهستيريا عند رؤيتها للضوء بعد حرمانها من النور لسنوات عديدة. وكان ذلك سببًا في اعتقالها من قبل رجال "القومندان" بتهمة استخدام قداحة، فكل من يشعل القداحة يتم اعتقاله بتهمة الهرطقة وتدنيس الظلام.

من هنا كانت "القداحة" رمزًا فاعلًا في الأحداث كما لو كانت إحدى شخصيات الرواية.

العنوان:

ويعتبر العتبة الأكثر أهمية، حيث يعكس جوهر الرواية ويشير إلى موضوعها، وعنوان الرواية هو "في ممر الفئران" ويقصد بكلمة "الممر": الطريق الطويل الضيق، أما "الفئران" فهي كائنات ليلية بطبيعتها، أي أنها تكون أكثر نشاطًا في الليل، فيبحثون عن الطعام ليلًا ويتجنبون ضوء النهار قدر الإمكان، وتعتمد علي حاستي الشم واللمس للتفاعل مع محيطها أكثر من حاسة البصر، بالإضافة إلي قدرتها علي التسلل عبر مساحات ضيقة للغاية. (١)

من هنا جاء عنوان رواية " في ممر الفئران" مناسبًا لأحداثها الخيالية الديستوبية؛ إذ يوحي هذا العنوان بالحياة المظلمة والضيقة التي تعيشها شخصيات

---

(١) انظر مقال "تعرف علي الفئران: السلوك والتأثير والتاريخ"، معلومات عن مصادر تدجين الفئران من المعهد الوطني للجينوم البشري، موقع https:// www.terminix.com . وانظر مقال: "معلومات حول الفأر – عالم الحيوانات"، ٢٩ مايو ٢٠٢٤م، موقع homepalanimal.com https:// www. .

الرواية فهم كالفئران، وما يعتريهم من الخوف والقلق من حياة النور والضوء. وتوحي كذلك بالعزلة عن المجتمع الحقيقي الذي يعيشه الناس.

٢- العتبات الداخلية: وهى العناصر التي تقع داخل النص الروائي، وسأتناول بالتحليل أهم هذه العتبات وهى: (المقدمة، والتصدير، والعناوين الداخلية لفصول الرواية).

المقدمة: وضح فيها الكاتب ماهية الرواية، وأنها تعد معالجة أطول وأعقد لقصة "أسطورة أرض الظلام" والتي سبق نشرها ضمن سلسلة "ماوراء الطبيعة"، ثم ذكر دوافعه حول تحويل هذه القصة القصيرة إلى رواية، وأنه ليس مبتدع في ذلك بل سبقه الكثير من الكتاب الغربيين أمثال:

"شريدان لو فانو"، و "روبرت هاينلاين" وغيرهم. (١)

التصدير: قام الكاتب بتصدير روايته بجزء من قصيدة "الأرض الخراب ل " ت. س. إليوت"، وترجمة "لويس عوض"، وقد تم تضمينها في الرواية، وليست كجزء أصلي من الرواية، بل تم ذكرها كإشارة واستلهام؛ لأن القصيدة تعكس حالة من اليأس والضياع والخراب، وهي تتناسب مع أجواء الرواية التي تتناول الغيبوبة والانتقال إلى عالم مظلم وواقع بديل، كذلك استوحى منها الكاتب عنوان الرواية؛ ولذلك بدأ روايته بذكر بعض أبياتها:

أفكر أننا في ممر الجرذان

حيث فقد الموتى عظامهم

---

(١) "شريدان لو فانو"(١٨١٤- ١٨٧٣م) هو كاتب أيرلندي اشتهر بروايات الغموض والرعب، وأشهر أعماله "كارميلا"، أما "روبرت هاينلاين" (١٩٠٧- ١٩٨٨م) هو كاتب أمريكي اشتهر بروايات الخيال العلمي، وكان واحدًا من ذوي الروايات الأكثر مبيعًا لعدة عقود. انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

أى ضوضاء هذه؟

"وما هذه الضوضاء الآن؟ ماذا تفعل الريح؟"

لاشئ .. نعم لاشئ..

"ألا ترى شيئًا؟ ألا ترى شيئًا؟

ألا تذكر شيئًا؟"

بلى أذكر.

هاتان لؤلؤتان

كانتا من قبل عينيه

"أحي أنت أم لست حيًّا؟ أليس في جمجمتك شئ؟"

العناوين الداخلية: للرواية عنوان داخلي رئيس للحدث الرئيس في الرواية، ثم يندرج تحته عناوين فرعية لكل فصول الرواية وأحداثها وهذا العنوان هو:

"مقدمة حتمية عن كابوس الشرقاوي وكيف وجد نفسه في ممر الفئران"

ثم تأتي العناوين الداخلية للفصول كالآتي:

١- أغنية الوحدة ٢- ذكريات النور ٣- في ممر الفئران "وصول الشرقاوي"

٤- ارتطام ٥- عصر جديد ٦- ميلاد الخوف

٧- النورانيون ٨- أنت منا ٩- فوق السحاب

١٠- المواجهة ١١- الفرار ١٢- نحو الذروة ١٣- أن تختار

وقد تم تقسيم هذه الفصول إلى مباحث يتراوح عددها بين ثلاثة أو أربعة أو خمسة مباحث، وأحيانًا يكون للمبحث عنوان جانبي.

ثانياً: أحداث الرواية:

تدور أحداث الرواية حول شخصية "الشرقاوي" الذي يرفض عالمه؛ بسبب كثرة الضغوطات التي يتحملها في حياته، فيلجأ إلى تناول أقراص منومة هربًا من واقعه، ويتعرض إثر ذلك لغيبوبة فيذهب إلى المشفى لتلقي العلاج، ومن هنا انتقل "الشرقاوي" إلى بُعد آخر؛ وهو: "ممر الفئران أو عالم الظلام".

وقد نشأ "عالم الظلام" نتيجة اصطدام نيزك بكوكب الأرض أدى إلى حجب أشعة الشمس عنه، وأصبح الناس يعيشون في ظلام دامس، وكانت حياتهم تُشبه إلى حد بعيد "ممر الفئران"، لأن الفئران لاتنشط إلا بالعُتمة، وبعد أن اختفت الطاقة في جميع صورها، أصبحت الأرض تواجه موت محتم سواء طالت المدة أو قصرت.

فالمشكلة الكبرى في الرواية هي "الظلام" ولكن كانت هناك حزمة من المشكلات الأخرى التي تتعلق بشخصيات الرواية قبل انتقالهم من عالم النور إلي عالم الظلام، وقد تفاقمت هذه المشكلات، وازدادت حدتها مع الظلام الدامس.

من هنا أصبحت لحظة النور أملًا مرجوًا لدى الجميع. فانضم "الشرقاوي" وأصدقائه "رامي" و"ماهر" إلى جماعة "الضوئيين أو النورانيين"، وهم الأشخاص الذين تمردوا علي الظلام وأخذوا يبحثون عن النور ليجعلوا منه حق للجميع وليس لفئة بعينها. فخرج النورانيون بقيادة "الشرقاوي" للبحث عن طريقة من أجل إعادة الشمس إلى كوكب الأرض، فصعدوا جبال "الهيمالايا" لعلّهم يجدوا طريقةً أو منفذًا يُمكن من خلاله إعادة الشمس إلى الأرض؛ والقضاء علي حياة الظلام.

وقد تمثل الحاكم الظالم في شخصية "القموندان" الذي يحتكر حياة النور لنفسه وأتباعه فقط، بل يحاولون إقناع الناس وإيهامهم بأنّ النور نقمة والظلام هو النعمة وقدرهم المحتوم، مما يؤدي إلي الصراعات المستمرة بين هاتين الفئتين؛ لذلك نجد أن أيّ إنسان يُحاول إيجاد النور أو إشعال مجرد شمعة، فإنّ مصيره هو الموت والإعدام الفوري دون محاكمة، وقد تفننوا في وسائل الإعدام منها الإعدام باستخدام الحمض

أو استخدام الكلاب وكلما كانت الطريقة بشعة ومخيفة كلما كان الردع من خلالها أكبر لكل من تسول له نفسه ويفكر في القضاء علي الظلام.

فالأحداث مشوقة إلى أقصى درجة، وعلي قدر كبير من الترابط والتسلسل. ولكن النهاية مثيرة وغير متوقعة؛ حيث جعل الكاتب بطل الرواية "الشرقاوي" يترك معسكر الخير بصورة مفاجئة، وينضم إلي معسكر الشر ويصير من أتباع "القموندان" ويتخلى عن مبادئه، وذلك بعد اعتقال كل أصدقائه من "النورانيين":

وفي ذلك يقول الكاتب: ((وكان لقدومه لهذا العالم غرض واضح محترم. فقط ثمة مشكلة بسيطة هى أنه المختار لعالم الظالمين وليس لعالم المظلومين! لقد أرادت لك الأقدار أن تكون طاغية لا ضحية.. قاهرًا لا مقهورًا.. أنت تنتمي للنور ولسوف تنعم به، وتسحق من هم ما زالوا في ممر الفئران.)) [١]

فتلك نهاية مأساوية سوداء ولكنها أكثر من رائعة، ومناسبة لأحداث الرواية.

ثالثاً: شخصيات الرواية:

ذكرتُ فيما سبق أن الشخصيات في روايات الخيال العلمى غالبًا ماتكون من الأبطال الخارقين، أما في هذه الرواية فقد اعتمد الكاتب على اختيار شخصياته من الواقع المعاش؛ حتى يحدث الترابط الشعوري والعاطفي بين القارئ وشخصيات الرواية.

وتدور الأحداث في هذه الرواية بين عدد من الشخصيات التى قام الكاتب برسم الملامح الجسدية لبعضها، ولكنه اعتنى بصورة بالغة بوصف أفكارها ومشاعرها ومواقفها، ولعل هذا النهج الذي سلكه جاء مناسبًا لحياة الظلام التي سيطرت على أغلب أحداث الرواية، فلا حاجة لأن يسترسل ويطنب في وصف المظهر الذي

(١) الرواية، ص٣٧٤.

سيختفي بعد قليل عندما يغمر الظلام الكون. وتتنوع هذه الشخصيات تبعًا لدورها في أحداث الرواية إلي شخصيات ديناميكية "نامية" وشخصيات ساكنة "ثابتة".

١- الشخصيات الديناميكية " النامية" :

أولى هذه الشخصيات هى شخصية: "الشرقاوي" وهو الشخصية المحورية في الرواية، لذلك فقد اهتم الكاتب أيما اهتمام بتصوير بعديها الجسدي والاجتماعي فهو رجل في الأربعين من عمره، من الطبقة الوسطى، يعمل في شركة هندسية ناجحة، متزوج من إمرأة كانت على حد وصفه "تصف جميلة" ولديه منها طفلين، ولكن الكاتب أعطي جُل اهتمامه لتصوير البعد النفسي لهذه الشخصية؛ فوصف "الشرقاوي" بأن لديه شعور حاد بالعجز والضعف وعدم القدرة علي مواجهة أي شئ، كما أن لديه شعور حاد بالاغتراب حتي أن الأشياء التي يمتلكها مثل: (زوجته- بيته- فراشه- سقفه -ليله) لاتنتمي إليه فهو يمتلكها لكنها في الحقيقة غريبة عنه. وأيضًا لديه شعور حاد بالعبثية واللامبلاة وفقدان الحس والعاطفة نحو الأشياء والمواقف؛ فهو لايندهش ولا يتوجع ولا يتألم ولا ينتشي ولا يشتهي ولا يشتاق، فالعاطفة عنده مصطنعة ومتكلفة فيها من السماجة والإسفاف ما تجعله ينفر منها كنفوره من المرأة العاهرة.

كما أنه في حالة صراع دائم مع عقله لأنه يري أن عقله هو سبب شقائه في الحياة لذلك كان يتمني علي سبيل السخرية أن تحدث في المستقبل عمليات جراحية لاستئصال العقل وسيكون هو أول المتقدمين لها.

ثم تتحول هذه الشخصية تحولًا جذريًا في نهاية الرواية فتنتمي إلى معسكر الشر وتنضم إلى صفوف "القومندان" بعد أن كانت علي مدار الرواية شخصية خيِّرة تقف في صف الحق، وهذا هو شأن الشخصيات الديناميكية فغالبًا ما تنتهي بشخصيات مختلفة عما كانت عليه في بدايتها.

ثم ننتقل إلى شخصية أخرى وهى شخصية: "رامي المليجي" وهو أيضًا من الشخصيات المحورية في الرواية، وهو طالب جامعي يدرس في كلية العلوم قسم الجيولوجيا، وكان مثل الشرقاوي من الطبقة الوسطى ويعاني من أزمة وجودية؛ لأنه شاب من الطراز الذي لايتميز بشئ، وصفه الكاتب بأنه بطل اللاتميز وشخصية باهتة لاتكاد تعلق بالذاكرة، ولايمكن وصفه بالفجور وكذلك لايمكن وصفه بالمثالية، وكان تطور هذه الشخصية خفيًا وغير معلن، ولكن يمكنني القول بأن شخصية "رامي" تطورت نحو الأفضل من العزلة والإنطوائية إلي المشاركة الاجتماعية، ومن السلبية إلي الإيجابية.

٢- الشخصيات الساكنة "الثابتة":

كانت أغلب هذه الشخصيات تدور في فلك شخصية "رامي" وترتبط بها إما بصلة قرابة أو صداقة أو زواج، وقد أتاح الكاتب لبعض هذه الشخصيات مساحة جيدة في الرواية خاصة أصدقاء "رامي" الذين رافقوه هو والشرقاوي في رحلتهم للبحث عن حياة النور التي استأثر بها "القومندان" ورجاله، وتنقسم هذه الشخصيات من حيث وظيفتها في الرواية إلي ما يلي:

٣- الشخصيات الداعمة:

وهي التي تساعد الشخصيات المحورية في تحقيق أهدافهم أو في حل مشكلاتهم وكان في مقدمة هذه الشخصيات: شخصية "ماهر" وهو شخصية ثورية تشبه "جيفارا" لكنه قصير القامة نحيل معظم شعره أشيب، لم يحو فمه سنًا سليمة، وعقله يشبه نسيج العنكبوت المتشابك. كما أنه ينتمي إلي جماعة "الضوئيين" أو "النورانيين" الذين يرون أن الضوء/النور حق لكل إنسان.

وكذلك شخصية "تجوان": وهي فنانة تشكيلية وشخصية ثورية مثل "ماهر"، شكلها يبدو كشاب مراهق وسيم لم تضع مساحيق الزينة قط كسائر الفتيات بل ترتدي

ملابس الرجال وتدخن لفائف التبغ، وقد جعلها الكاتب شاعرة واقتبس أشعارها علي مدار صفحات الرواية وكأنها شخصية حقيقية.

ثم شخصية "مها": تلك الطبيبة صاحبة الصوت المخملي والعطر النفاذ، كانت نحيلة وفي الثلاثين من عمرها، وفي عينيها حول طفيف يعطي بعض الجاذبية، لم تكن جميلة ولكن لها وجه محبب مفعم بالحنان. وقد انضمت إلي نجوان وماهر ورامي والشرقاوي في رحلتهم إلي قصر القموندان بحثًا عن النور والضوء والحياة المفعمة بالرفاهية.

٤- الشخصيات النمطية:

أولها: شخصية "الدكتور مصطفى" : وهو أستاذ جامعي في الخمسين من عمره، كان بارعًا في مجاله وحصل علي جائزة الدولة التشجيعية، وهو الشخص الوحيد الذي استطاع من خلال خبراته وقراءاته الواسعة أن يحلل ظاهرة اصطدام النيزك بكوكب الأرض، وأن يتوقع أسوأ السيناريوهات التي ستحدث من خلال نظرته التشاؤمية، واتصالاته مع أحد أصدقائه من علماء الفلك في وكالة "ناسا، وبمرور الأحداث تحول د/ مصطفى إلى صديق لرامي ولم يعد مجرد أستاذا له.

ومن هذه الشخصيات شخصية "فاتن" التي تعد نموذجًا للجمال الأنثوي المهيب، وقد وفق الكاتب في اختيار الإسم المناسب لهذه الشخصية، وكانت زميلة رامي في الجامعة، وارتبطت معه بقصة حب انتهت بزواجهما بعد أن اصطدم النيزك بكوكب الأرض وسيطرة الظلام على كل شئ.

وكذلك "إخوة رامي": وهم علاء وعلياء وعزة، ولكل منهم شخصية تميزه عن الآخر لم يهمل الكاتب وصف بعض ملامحهم الجسدية والنفسية عند ظهورهم علي مسرح الأحداث.

٥- الشخصيات الرمزية:

ومن الشخصيات التي كان ينبغي الوقوف عليها لكونها تمثل "لغز الرواية" وكانت السبب في إضفاء الغموض وتحقيق قدر كبير من الإثارة والتشويق لدى القارئ: شخصية "القومندان" وهي شخصية من وحي خيال الكاتب قال عنه: ((بأنه كائن أورويلي غريب يذكرك بالأخ الأكبر الذي يراقبك دائما وبما أن أحدًا لم يره فإنه تحول إلي معنى أو رمز.)) (١)

وقد حارت العقول وتعددت أقوال الناس في تفسير هذا الرمز فقيل عنه: إنه راهب من رهبان التبت، أو ساحر شرير جاء ليحكم العالم ويتخذ مقره فوق قمة الهيمالايا. يقول عنه الكاتب: ((القومندان ليس هو مصدر الظلام. القضية أعقد من هذا. القومندان مجرد كيان يحاول أن يستفيد من هذا الوضع. إنه يرى ونحن لا.. ينعم بالنور ونحن لا.. نعيش كالخفافيش ويعيش هو كالنسور.)) (٢)

ولكن مع نهاية الرواية يتضح أن "القومندان" ليس شخصًا بل هو "فكرة" ترمز إلى تلك الزمرة الحاكمة أمثال: الجنرالات والعلماء القادمون من روسيا والصين وبعض الدول الأوروبية والأثرياء العرب، الذين قرروا أن يصنعوا لأنفسهم مجتمعًا مسيطرًا خاصًا بهم، ولما كانت الشعوب تميل إلي الفكرة المجردة ولدت صورة "القومندان".

وقد استطاع الكاتب أن ينسج ببراعة لقاء الشخصيات في الرواية دون أن يشعر القارئ بشئ من التكلف والتصنع بل بدت كأنها لقاءات قدرية كما يحدث في الحياة الواقعية.

---

(١) الرواية، ص١٨٠.

(٢) الرواية، ص٢٠٠.

رابعاً: الزمن فى الرواية:

لم يذكر الكاتب على وجه الدقة زمنًا محددًا للرواية، ولكن يتضح من خلال قراءة الفصول الأولى أنه يتحدث عن المجتمع المصري في فترة "التسعينيات وما بعدها"، واستخدم الكاتب الزمن الحقيقي كـ "الأيام والأسابيع والشهور والسنوات" في عالم النور.

ولكن مع بداية سيطرة الظلام علي كوكب الأرض فقد الناس الإحساس بالزمن، وبقيمة الوقت، فلا يوجد نهار يعقبه ليل، ولا ضوء ينظرون فيه للساعات؛ حيث دخلوا زمن الظلام اللامحدود. وبذلك نكون أمام ثلاثة أزمنة:

أولها: الزمن الماضي الذي يمثل ذكريات عالم النور.

وثانيها: الزمن الحاضر الذي يمثل المعاناة في عالم الظلام، وبين الزمنين تشتد معاناة بعض الشخصيات الذين شهدوا العصرين، فلاهم قادرون على نسيان الماضي، ولا هم قادرون على التعايش الطبيعي مع الحاضر.

وثالثها: الزمن المستقبل لأن رواية "الخيال العلمي" بشكل عام تعتمد علي التنبؤ بالمستقبل لذلك استخدم الكاتب تقنية "الاستباق" وهي عبارة عن:((حركة سردية تقوم على أن يروي حدث لاحق أو يذكر مقدمًا.)) [١]

وقد تم الانتقال إلي زمن المستقبل هنا في الرواية من خلال شخصية "الشرقاوي" الذي يصاب بغيبوبة فيظل بجسده في عالمنا، ولكن وعيه ينتقل إلي بُعد آخر ليمارس حياة أخرى، ويلتقي بأناس آخرين، فيتنبأ بهذا المستقبل المظلم الذي يعمُّه الفساد والظلم لأننا في إطار رواية تنتمي إلي "الأدب الديستوبي" أي "أدب المدن الفاسدة".

خامساً: المكان الروائي:

تدور أحداث رواية " في ممر الفئران" في عالمين متقابلين:

---

١) خطاب الحكاية، جيرار جنيت، المشروع القومي للترجمة – القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص٥١.

العالم الأول: هو عالم واقعي يتمثل في المجتمع المصري دون تحديد مكان معين؛ لأن أحداثها يمكن وقوعها في أي مكان فيه، ففي الصفحات الأولى من الرواية نلاحظ اسم "مصر" يتردد كثيرًا كقول الكاتب عند الحديث عن سقوط النيزك: ((طه حسين حكى عن نجم هوى علي الأرض في طفولته... لكن النجم لم يمس الأرض، وقالوا إن السبب هو أن مصر أم الدنيا ومحروسة، وهو سبب ليس علميًا جدًا لكنه مقنع.)) (١)

ويذكرها أيضًا عند الحديث عن ردود أفعال الناس حول ظاهرة النيزك فيقول: ((كان الناس – في مصر علي الأقل– يلتفون حول أجهزة التليفزيون والمذياع قلقين.)) (٢)

ويذكرها كذلك عندما يعلق علي زواج "رامي" من "فاتن" قائلًا: ((لقد اختصر طريق الكفاح المرهق الطويل. لا أحد يحصل علي حبيبته في مصر إلا بعد خوض صراع طويل يذكرك برحلة "أوديسيوس".)) (٣)

ثم بعد سقوط النيزك يذكر "مصر" للمرة الأخيرة فيقول: ((لكن مصر كانت بعيدة فعلًا عن مركز التصادم، لذا لم يبد أن شيئًا تغير ما عدا الظلام وبعض الزلازل محدودة الخطر.)) (٤)

ثم بدأ اسم مصر يختفى تمامًا في الربع الأخير من الرواية، حيث احتدم الظلم، واشتد الظلام، حينها لم يذكر الكاتب كلمة "مصر"، ولكنه جعل القارئ يستحضرها استحضارًا تامًا في ذهنه ووجدانه من خلال استخدامه لمفردات المكان في المجتمع المصري كالشوارع الضيقة، والأزقة المتسخة، وأفكار المراهقين، وغيرها، حتى يظن القارئ أنه يتحدث عن منطقة يعرفها على وجه التحديد.

---

(١) الرواية، ص٥٠.

(٢) الرواية، ص٥٢.

(٣) الرواية، ص١٣٢.

(٤) الرواية، ص١٤٩.

ولعل الكاتب لجأ إلى ذلك ليبتعد عن النقد المباشر للمجتمع المصري، أو ليجعل من أحداث الرواية نموذجًا ينطبق على أماكن كثيرة في العالم.

أما العالم الثاني: فهو عالم متخيل "رمزي" من وحي خيال الكاتب، ويتمثل في مكانين متضادين ومتقابلين **الأول** منهما: هو "ممر الفئران" أو عالم الظلام كما يمكن أن يُطلق عليه، ويرمز به إلى مجتمع الفقراء والمهمشين بعد سقوط النيزك وسيطرة الظلام علي كل شئ، فشبه الكاتب هذا المكان بالممر الضيق الذي تعيش فيه الفئران وتتسلل إليه ليلًا، فتبحث عن طعامها خفية في الظلام لأن النور يُعرِّي حقيقتها ويكشفها أمام العيون.

والثاني: هو "قصر القومندان" أو عالم النور والرفاهية فوق السحاب وبالتحديد فوق قمم جبال الهيمالايا التي تم جعلها صالحة للحياة بآلاف من أجهزة التدفئة المتناثرة في كل مكان، ويرمز به إلى مجتمع الأثرياء الذين يتحكمون في كل شيء، ويستأثرون بكل مقومات الحياة المترفة.

وعلي حد قول الكاتب عن هذه المنطقة: ((هيمالايا فوق الغيوم.. هيمالايا فوق السحاب، وفوق الظلام وفوق أوجاع البشر.)) (١)

وبين العالمين الواقعي والمتخيل تعددت الأماكن المغلقة والمفتوحة، وكما كان لهذا العالم المتخيل دلالاته الرمزية كان له أيضًا انعكاساته النفسية على شخصيات الرواية فمنها ما كان يمنحها الشعور بالخوف والقلق وهو ما يطلق عليه المكان "الطارد" لشخصيات الرواية كعالم الظلام المتمثل في "ممر الفئران"، ومنها ما كان يمنحها الأمان والراحة وهو ما يطلق عليه المكان "الجاذب" لشخصيات الرواية كعالم النور المتمثل في "قصر القومندان"؛ ولذلك كان للمكان في الرواية دور مهم وواضح في خدمة الفكرة التي أراد الكاتب التعبير عنها.

---

(١) الرواية، ص٣٦١.

سادساً: اللغة الروائية:

إن اللغة الروائية في رواية الخيال العلمي بشكل عام هي: لغة مباشرة تخاطب العقل بالحجة والبرهان وتبتعد عن الصور البيانية والزخارف اللفظية، وتكثر فيها المصطلحات العلمية والطبية والأجنبية.

وقد كان للكاتب "أحمد خالد توفيق" خصائصه الأسلوبية التي جعلت لروايته طابعًا خاصًا ومذاقًا متميزًا لايكاد يخطئه قراؤه؛ لذلك كان لابد أن أتوقف طويلًا عند الحديث عن لغة هذه الرواية فعلي الرغم من كونها إحدى روايات "الخيال العلمي" إلا أنها تحمل الكثير من الظواهر الجمالية والألفاظ الموحية والدلالات والإشارات التاريخية فجاءت اللغة في أبهي صورها وكانت من أهم مايميز هذه الرواية.

ومن الظواهر اللغوية في الرواية ما يلي:

- **السرد والحوار والوصف**: بنى الكاتب روايته على "السرد" غالبًا، وقامت لغة السرد التي استخدمها الكاتب على الجمل القصيرة، وأحيانًا الجمل القصيرة جدًا، واستخدم "الحوار" أحيانًا ولكن الحوار كان فعالًا وقويًا علي الرغم من اعتماده علي الجمل القصيرة.

وقد تنوع الحوار إلى حوار خارجي بين الشخصيات وبعضها، وحوار داخلي بين الشخصية وذاتها، من خلال التساؤل، أو التردد، أو اللوم والعتاب، مما أسهم بدوره في فهم أعماق الشخصيات.

وقد استخدم الكاتب أسلوب "الوصف" كثيرًا لرسم ملامح الشخصيات الجسدية والنفسية ولوصف بعض الأماكن، واتسم أسلوب الوصف عنده بالدقة والطرافة.

– واعتمد الكاتب علي شخصية "الراوي" فظهر بوضوح في بداية الرواية، فقص وسرد وعلق، وأعلن وجوده صراحة في قوله: ((بالطبع أنت تعرف أن معجزة

حدثت، وأن هذه كانت الأيام السابقة لسقوط النيزك، لكن دعنا لا نستبق الأحداث، سأحكي كل شيء في وقته)) (١)

ثم اختفى ولم يشعر به القارئ بعد ذلك، ولكنه ظل يمد القارئ بالتعليقات والتفسيرات والاقتباسات، كما برع الكاتب في خلق الأسئلة وإثارتها في ذهن القارئ وكان يسعفه بالإجابات في الوقت المناسب.

– وهناك سمة عامة في كتابات د/ "أحمد خالد توفيق" أنه يصنع من معظم عباراته حِكَمًا أو أقوالًا مأثورة تعبر عما يريده وتصير مضرب المثل بعد ذلك، ومن أمثلة ذلك قوله: ((سياسة إذا متُّ ظمآنا فلا نزل القطر.)) (٢)

ليعبر بها عن هؤلاء الناس الذين لايرجون الخير لغيرهم إذا لم ينزل بهم خير.

– وفي بعض فقرات الرواية يشعر القارئ أنه أمام نص أجنبي مترجم، ويعود ذلك إلى كثرة ما ترجمه الكاتب من روايات عالمية.

ويظهر ذلك في قوله: ((القرص يعبث في كيمياء المخ .. موصلات تتوقف ومواد تفرز ومستقبلا تتغلق..الأبواب تنغلق واحدا تلو الآخر.. جفناه يثقلان..إنه ينام.)) (٣)

- **ظاهرة "التكرار"**: وتظهر منذ السطر الأول في الرواية كتكرار جملة "الليل والصمت وأغنية الانهزام"، وتكرار جملة "أنت رخو.. ضعيف.. أنت عاجز عن مواجهة أي شئ"، فهذا التكرار يفيد التوكيد وتوضيح المعني والإلحاح علي الفكرة.
- **زيادة حرف المد في كتابة الكلمة**: ككلمة "اغتراااااااااب" وكلمة "فراااااغ" ولاشك في أن زيادة المبني تدل علي زيادة المعني وقد يكون لجأ الكاتب إلي هذه الطريقة

(١) الرواية، ص٤٨.

(٢) الرواية، ص٥١.

(٣) الرواية، ص١٦.

للدلالة علي عمق الشعور بالاغتراب والفراغ وحدة المأساة، وكأنه يصرخ من أعماق قلبه فيخرج مع كثرة المدود كل آهاته وأوجاعه.

- "**شيوع المصطلحات العلمية والطبية**": وقد ظهرت في هذه الرواية بشكل ملحوظ. فالمصطلحات العلمية كـ (المجرات- ذرات النيتروجين والكربون- الإلكترونات- كيمياء المخ- الجاذبية الأرضية- انعكاس الضوء... الخ)
- والطبية كـ (عينات الدم- العقاقير- جهاز الرنين المغناطيسي- جدار البطن- العمود الفقري- الغيبوبة- العيوب الخلقية ...الخ)
- "**شيوع الأسلوب الساخر وروح الدعابة**": وهي من الخصائص الأسلوبية التي ميزت "أحمد خالد توفيق" في روايته مما ساعد علي كسر حدة الرتابة والملل، وأمثلة ذلك كثيرة في الرواية أذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر قول الكاتب: ((هناك الكثير من المرح كما قال، وهو مرح- في رأي رامي- يمكنك أن تظفر بأكثر منه في أي سرادق عزاء.)) (١)

وكذلك قوله: ((...سوف يصير الظمأ حقًا للجميع. البشر لايقدرون علي توزيع الثراء منذ فجر التاريخ، لذا اكتفوا بأن يوزعوا الفقر.)) (٢)

وقوله أيضًا: ((التهمة هى إشعال قداحة. هى الهرطقة. هى تدنيس الظلام. تهمة عجيبة لكن قل هذا لأولئك المتعصبين المخابيل، ... قله للقومندان الذى لاتعرف من هو بل ماهو.)) (٣)

---

(١) الرواية، ص٣٨.

(٢) الرواية، ص٣٦٨.

(٣) الرواية، ص١٠٣.

- "**تراسل الحواس**": وتكمن فائدته في كسر الحواجز بين كل حاسة والأخري كما يدفع للدهشة ومخالفة توقعات القارئ، كقول الكاتب: ((للعطور صوت عال.. لضوء القمر رائحة.)) (١)
- وأيضًا تشبيه صوت "مها" الذي يدرك بحاسة السمع بالمخمل الذي يدرك بحاسة اللمس، وكذلك قوله: ((الظلام في كل صوب.. ظلام متجانس مخملي يمكنك أن تلمسه وتتحسسه لكن لاتقدر أن تمزقه.)) (٢)
- كما يذكر أن في الظلام يصير للصوت ملمس ولون ورائحة.
- **كثرة التضمين والاقتباسات**: ويكون الغرض من هذه المقتبسات هو: ((التوضيح، والتدقيق، والتعضيد، وتقوية النص، وإضاءته فهمًا وتفسيرًا وتأويلًا.)) (٣)

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- **أبيات الشعر**: قام الكاتب في مطلع الكثير من الفصول بتضمين أبيات من الشعر ونسبتها إلى قائلها، فبدأ أحد فصول الرواية بقصيدة "الأرض الخراب" لـ "إيليوت"، وأحيانًا كان يبدأ بأبيات لـ "أبي القاسم الشابي" أو أبيات لـ "أمل دنقل" "المجد للشيطان.. معبود الرياح".

وأحيانًا أخري كان يأتي بأبيات شعرية داخل النصوص علي سبيل التمثيل كأبيات لـ "زهير بن أبي سلمي" وبشار بن برد "الأذن تعشق قبل العين أحيانا".

- **الإنجيل**: وذلك في قول الكاتب:((من كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بحجر.)) (٤)

---

(١) الرواية، ص١٧.

(٢) الرواية، ص٦٩.

(٣) شعرية النص الموازي "عتبات النص الأدبي"، جميل حمداوي، ط٢، ٢٠١٦م، ص١٦٥.

(٤) الرواية، ص٣٧١.

وهذا القول مأخوذ من الإنجيل: ((ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولًا بحجر.)) (١)

ولكن يؤخذ علي الرواية ما بها من حشو زائد مما تسبب في زيادة حجمها؛ وجاء ذلك من طول الوصف، وكثرة الاقتباس الأدبي من القصص والشعر في مطلع كل فصل قصصي.

- **التناص الداخلي**: صنع الكاتب من إحدى شخصيات الرواية وهي "نجوان" شاعرة يقتبس بعض أبياتها الشعرية ويبدأ بها بعض فصول روايته وقد يضع لها عنوانًا مثل: "من أغنية نجوان: إنني سوف..."، من هنا أصبحت اللغة الروائية ذات "تناص داخلي"، يزيد في الإيهام الروائي؛ لأن القارئ مع مرور الوقت يتوهم أن "نجوان" شخصية حقيقية وليست شخصية خيالية من وحي خيال الكاتب.

❖ **اللغة الموسوعية**: فعلي مدار صفحات الرواية كان الكاتب يقوم بتزويد قرائه بالعديد من المعلومات الطبية والتاريخية والجغرافية مما يدل علي أننا أمام كاتب موسوعي من طراز فريد استطاع أن يجمع في روايته بين الإفادة والمتعة.

– والشواهد علي ذلك كثيرة منها أحد التعريفات الفيزيائية كقول الكاتب: ((يعرف علماء الفسيولوجيا أن كل مؤثر زائد كالصوت أو الضوء أو الشم يتحول إلي ألم بالغ. اسمع دوي قنبلة، أو انظر في قرص الشمس، أو شم بعض النشادر.. عندها تتحول مشاعرك إلي ألم ساحق..))(٢)

---

(١) إنجيل يوحنا، طبع في بيروت، مطبعة الأمريكان، ١٩٠٨م، ص٢٤٩، الأصحاح الثامن، فقرة (٨).

(٢) الرواية، ص٩٤.

– والحديث عن عصور ما قبل التاريخ وانقراض الديناصورات عندما اصطدم نيزك بالأرض في حادثة شبيهه بما يحدث في الرواية ليؤكد أن ثقافة النيزك الذي يمحو الحياة علي الأرض ثقافة شعبية.

– وذكر خطاب بونابرت لشعب مصر قبل اذاعة البيان الأول للقومندان في مكبرات الصوت، وتشبيه الشرقاوي نفسه ببطل رواية "١٩٨٤" لـ "جورج أورويل"، وحديثه عن قصة "سارتر" صاحب مذهب الوجودية.

– وذكره لبعض المقطوعات الموسيقية العالمية واللوحات الشهيرة، كما يذكر العديد من الشخصيات المشهوره كـ "سيجموند فرويد"و"جيفارا" و "موسوليني" و"هتلر" "أجاثا كريستي" وشاعر المهجر "نسيب عريضة"، ويستشهد أحيانًا ببعض أبياته. وأثناء حديث الكاتب عن "رامي" يصف بأن نظرته للكلية هي نفس نظرة "إيليا أبو ماضي" للحياة؛ فكلاهما يري أنه درب عليه السير فيه حتي إذا لم يكن يرغب في ذلك.

❖ **توظيف الأسطورة**: أعطى الكاتب أهمية كبيرة لسرد قصص الميثولوجيا الإغريقية كذكره لأسطورة "سيزيف"، وأسطورة "أوديسيوس"، وأسطورة "برومثيوس" الذي سرق النار من الأوليمب فيتم معاقبته بالتعليق بين جبلين ليلتهم طائر الرُّخ كبده. لكن التناص مع هذه الأسطورة علي وجه التحديد كان له بعض الخصوصية والأهمية في الرواية وليس مجرد حشد معلومات؛ حيث قصد الكاتب به تشبيه "القومندان" بـ "آلهة الأوليمب" وتشبيه مجموعة "النوارنيين/ الضوئيين" بـ "برميثيوس" فكلاهما رأى أن النور حق للجميع وكلاهما لقى نفس المصير وهو التعليق بين الجبلين حتي تلتهم الطيور الجارحة أجسادهم.

وهكذا نجد أن هذه اللغة الروائية لغة تثقيفية للقارئ، تحرص دائمًا على تزويده بالمعلومات الجديدة كلما أتيحت له الفرصة داخل السرد الروائي.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين أما بعد:

فقد دارت هذه الدراسة حول: " تجليات الخيال العلمي في رواية "في ممر الفئران" لأحمد خالد توفيق" (١٩٦٢– ٢٠١٨م)، وقد تبين لي من خلال هذه الدراسة كيف استطاع الكاتب من خلال استخدام رواية الخيال العلمي أن يمزج بين الواقع والخيال، وأن يجد سبيلًا إلى النقد الاجتماعي والسياسي لمجتمعه المصري بصفة خاصة وللبلاد العربية بشكل عام، وكذلك قدرته على استشراف مستقبل هذه البلاد في جو من الخيال العلمي الساحر الممزوج بروح الدعابة والسخرية، فوضع أعيننا علي المشكلات التي تهدد المجتمع سواء التي تحدث بالفعل أو التي يمكن حدوثها، وهو لم يقدم حلولًا لتلك المشكلات؛ بل اكتفى بتقديم نهاية مفتوحة سوداوية متشائمة، باعتبار أن الرواية تنتمي إلى الأدب الديستوبي الذي ينتمي بدوره إلى أدب الخيال العلمي.

وتلك النهاية المأساوية تهدف إلي التحذير من مواصلة السير في نفس الطريق الذي تسير فيه شخصيات الرواية حتي لايواجه القارئ نفس المصير، ولذلك ترك الكاتب للقاريء فرصة المشاركة والبحث عن حل لتلك المشكلات بمجرد تسليط الضوء عليها، وتضخيمها في عين القارئ، والاعتراف بنعم الله تعالى علينا نحن البشر، والتي تمثلت في الرواية في نعمة "البصر" والنور والضوء، تلك النعم التي ينبغي الحفاظ عليها، والتصدي لأي مخلوق يحاول استلابها منَّا، فبدونها تصبح الحياة والموت سواء.

وقد توصلتُ من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها ما يلي:

أهم النتائج:

- أن أدب الخيال العلمي ليس ضعيفًا في بنيته ولغته كما يزعم بعض النقاد، بل إن الكاتب المثقف الواعي المتمكن من أدواته الفنية يستطيع أن يرسم بكلماته الأدبية لوحة إبداعية رائعة كما فعل الكاتب "أحمد خالد توفيق" في روايته " في ممر الفئران" وقد ظهر ذلك واضحًا جليًا عند تحليل اللغة الروائية للكاتب.
- أن أدب الخيال العلمي يستطيع أن ينهض بالواقع، وأن يرتقي بالمجتمع من خلال استشراف المستقبل، والتحذير من المخاطر التي يمكن أن تهدد الحياة الإنسانية علي كوكب الأرض؛ وهو ماقامت به رواية "في ممر الفئران" حيث تنبأت بحدوث كارثة طبيعية وبيئية حدثت على إثرها كوارث إنسانية وأخلاقية صورها الكاتب أمام عيني القارئ حتى يتوخى الحذر، ويضع الحلول لها قبل فوات الأوان.
- يمثل أدب الخيال العلمي وسيلة آمنة لنقد المجتمعات التي تحكمها الأنظمة الديكتاتورية بعيدًا عن النقد المباشر، شأنها في ذلك شأن الأدب الساخر الذي استخدمه الأدباء للتعبير عن آرائهم السياسية عبر الأزمنة والعصور، وقد صورت رواية "في ممر الفئران" استشرافًا سياسيًا للمجتمع في إطار من الخيال العلمي الممزوج بروح الدعابة والسخرية.
- أن أدب الخيال العلمي يختلف عن الأدب العجائبي لأنه يصدر من منطلق النظريات العلمية والقوانين الطبيعية، ولذلك فإن الخيال العلمي قابل للتحقيق علي أرض الواقع إلي حد ما، وبالتطبيق علي أحداث رواية "في ممر الفئران" نجد أن أحداثها محتملة الحدوث في المستقبل القريب لوجود مؤشراتها في الواقع المعاش كحدوث فجوة كبيرة بين طبقات المجتمع فإما الثراء الفاحش أو الفقر المدقع، واختفاء الطبقة الوسطى وتدهور القيم المجتمعية وغيرها، أما ما

يتضمنه الأدب العجائبي من الحديث المصباح السحرى والبساط الطائر وغيرها، فلا يمكن أن يتحقق في الواقع.

- أثبتت رواية "في ممر الفئران" أن الحضارة الإنسانية يجب أن تتأسس على العلم والأخلاق، فإذا غاب البعد الأخلاقي عن أي حضارة كان مستقبلها مأساويًا ومآلها الزوال، فبسبب التدهور المجتمعي والأخلاقي لشخصيات الرواية، والتحول القيمي لشخصية البطل وانضمامه لمعسكر الشر، وتخليه عن أصدقائه من النورانيين اختار الكاتب لروايته نهاية كابوسية سوداوية صور فيها بأن الشر ينتصر دائمًا في النهاية مما يؤدي إلى انهيار الحضارة الإنسانية.
- استطاع الكاتب "أحمد خالد توفيق" من خلال رواية "في ممر الفئران" أن ينقل رؤىً، وقيمًا، وتوجهات فكرية فى قالب خيالي، وأن يفيد من الفيزياء والفلك وغيرها من العلوم، في ترتيب أحداث روايته، ثم وظف كل ذلك بأسلوب جديد يختلف عن أسلوب كُتاب الخيال العلمي في الأدب العربي خاصة من خلال ربطه بين الخيال العلمي والواقع.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا المصادر:

رواية "في ممر الفئران"، أحمد خالد توفيق، دار الكرمة- القاهرة، ٢٠١٦م.

ثانياً المراجع:

- أدب الخيال العلمي، جان غاتينيو، ترجمة ميشيل خوري، دار طلاس- دمشق، ط١، ١٩٩٠م.
- أدب الديوستوبيا: سرد المستقبل وبلاغة التخييل الاستشرافي في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، و"عطارد" لمحمد ربيع، توفيق شابو، مجلة جسور المعرفة، مج٩، العدد:٣ ، ٢٠٢٣م.
- أدب المدينة الفاسدة انتقال من الأدب الخيالي إلي الواقع الحقيقي، نرمين صلاح القماح، جريدة العرب، ٢٥/ ٢/ ٢٠١٨م.
- إنجيل يوحنا، طبع في بيروت، مطبعة الأمريكان، ١٩٠٨م.
- بناء رواية الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر، مها مظلوم خضر، د. ن- القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- خطاب الحكاية، جيرار جنيت، المشروع القومي للترجمة - القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.
- الخيال العلمي فى الأدب العربي الحديث فى ضوء الدراسات المقارنة، محمد عبد الله الياسين، دمشق- سوريا، ٢٠٠٨م.
- الخيال العلمي كظاهرة في الرواية الجزائرية الحديثة رواية "تيرالوزيا لأمواج دواس أنموذجًا"، سليمان ضراوي، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة أحمد دراية، كلية الآداب واللغات، ٢٠٢٠م/ ٢٠٢١م.
- الخيال العلمي وتجربتي مع المصطلح، طالب عمران، مجلة الخيال العلمي، العدد: ٥/ ٦، ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م.

- الرواية ذاكرة مفتوحة، محمد برادة، آفاق للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- شعرية الرواية الفانتاستيكية، شعيب حليفى، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١٩٩٧م.
- شعرية النص الموازي "عتبات النص الأدبي"، جميل حمداوي، ط٢، ٢٠١٦م.
- مجاز العلم دراسات فى أدب الخيال العلمي، أ.د/ سمير الديوب، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق، ط ٢٠١٦م.
- المخيال الديستوبي بين رواية ١٩٨٤، لجورج أورويل و٢٠٨٤ حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج، و ١٠٨٤ لهاروكي موراكامي، مجلة المدونة، المجلد ١٠، العدد ٢، ديسمبر ٢٠٢٣.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، مج ١، ط١، ٢٠٠٨م.
- معجم مصطلحات الأدب، ج١، مجمع اللغة العربية- القاهرة، ط ٢٠١٤م.

ثالثاً المواقع الإلكترونية:

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https:// ar.wikipedia.org
- اليوم السابع: https:// www.youm٧.com
- مصراوي. https:// www.masrawy.com
- https:// www.terminix.com
- https:// www.homepalanimal.com